ميراث السعادة والألم

نور الدين حيدا

Des:Hams Elgana

نسمات الأدب

ميراث السعادة والألم

نور الدين حيدا

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : رواية

المؤلف: نور الدين حيدا

غلاف الكتاب: همس الجنة

موك اب الكتاب: همس الجنة

تنسيق داخلي: سها منصور

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تقديم عام

يغوص بنا الكاتب المتألّق نورالدين حيدا في رحلة إنسانية تبدأ من حبٍّ ودفء البيوت وتماسك الجدران، لتقودنا نحو أسرار وحقائق تفجّرت بعد الرحيل، رواية تكشف لنا أن الإرث ليس دائمًا ثروة بل قد يكون بداية الانهيار.

بين ضجيج الحياة تتسلّل أصوات لم تُسمَع من قبل، تدعونا للنظر إلى ما وراء الحقيقة التي يحملها المجتمع وغالبية العائلات، ربما هي حقيقة وربما وهم، في منازل مغلقة، ووثائق منسيّة، وصراعات تمزّق ما تعب لأجله الأب.

تأتي خيوط رواية ميراث السعادة والألم حيث تمشي على حافة العقل والعاطفة.

كلّ حب وابتسامة في الماضي قد تُخفي خلفها غصّة تتداخل فيها الحقيقة بالوهم وتُدفن الأسرار في صدور الراحلين.

يجد "زيد" نفسه أمام صدمة تُزلزله: أبٌ مثالي في عينيه يكشف موته حياةً لم يعرف عنها شيئًا؛ امرأتان تطرقان الباب بعد جنازته كلٌّ منهما تدّعي حقيقة لم يكن أحد يعلم بها من قبل، الأم تصمت، والإخوة يغضبون، والعائلة على وشك الانقسام، وفي عمق هذه الفوضى يبدأ زيد رحلته لا بحثًا عن الإرث بل عن الحقيقة.

هذه الرواية ليست حكايةً ولا قصةً خياليةً تُروى بل واقعٌ يهمس بما يُخفى خلف جدران البيوت.

الإهداء

إلى كل من أتعَبته الحياة، إلى كل من يريد رؤية الحياة على حقيقتها، هذه الرواية لك.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الأول

وسط عائلة صغيرة تتألف من جد يُدعى عبد الله وجدة تُدعى فاطمة، وابنهما سعيد وزوجته عائشة، في تلك الفترة كان لديهم طفلان زيد ومريم، تعيش هذه العائلة في أحد الأحياء الشعبية بالجنوب الشرقي بمدينة زاكورة حيث يتميزون بطابعهم التقليدي في أقوالهم وتصرفاتهم كما أنهم معروفون في حيهم وبين جيرانهم بحسن المعاملة والأخلاق وعزة النفس، تعيش هذه العائلة في سعادة وراحة بال وطمأنينة، وليس لديهم مشاكل مع أحد، قانعين بما رزقهم الله تعالى.

الأب سعيد يعمل كعامل نظافة ويحب عمله ويتقنه رغم التحديات والضغوطات

الحياتية ومسؤولية العائلة التي يتحملها أما زوجته عائشة فهي ربة بيت تعتني بأطفالها وبشؤون المنزل وتخدم والدي زوجها، تتميز بحيائها وحسن أخلاقها مما انعكس ذلك على أطفالها، هي تحب زوجها بشدة وتحترمه وتقدره، وهو كذلك يبادلها نفس الإحساس ويكرمها بتعامله الجيد معها حتى أصبحت تشعر بأنها أميرة معه.

في ذلك الوقت كان ابنهما زيد يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا، رغم صغر سنه إلا أنه يتميز بعقل ووعي ذكي، يتابع دراسته في المستوى الثالثة إعدادي ويتفوق ويحصل على درجات جيدة وممتازة، لديه العديد من الأحلام

والطموحات التي يريد تحقيقها من أجل رد الجميل إلى والديه اللذين تعبا من أجله.

في كل صباح كان زيد يرى والده ذاهبًا إلى العمل مما يحزنه حزنًا شديدًا لأن والده يتعب وقد بلغ من العمر خمسين عامًا، ورغم ذلك الحزن فإن هذا المنظر لا يحبطه بل يشكل له حافزًا قويًا ويمنحه الإرادة والعزيمة القوية للسعي نحو تحقيق أحلامه وطموحاته، أمنيته الأولى هي استكمال الدراسة والحصول على عمل مشرف ليجعل والديه يفتخرون به، علاوة على ذلك يريد تلبية حاجاته وحاجات والديه وإراحتهما لأنهما بذلا مجهودًا كبيرًا لتوفير كل ما

كان يحتاجه في صغره، لم يقتصر زيد على طلب العلم في المدرسة فقط بل كان يتابع دراسته في المسجد عند الإمام أحمد حيث يقع المسجد بالقرب من منزلهم، كانت وصية والده دائمًا له:

-اذهب إلى المسجد يا بني واحفظ القرآن الكريم.

وهذا ما جعله يجمع بين طلب العلم في المدرسة والمسجد؛ كان يذهب إلى المسجد كل يوم جمعة لحفظ القرآن الكريم، عندما يأتي الإمام أحمد ليعطيه جزءًا من القرآن الكريم، يقول له:

-الأسبوع المقبل ينبغي أن تأتي وأنت حافظ لذلك الجزء.

إذا جاء زيد وهو غير حافظ، كان الإمام أحمد يعاقبه بضربة على يديه بالعصا،

من شدة خوف زيد من معاقبة الإمام، أصبح ملتزمًا ويأتي دائمًا إلى المسجد وهو حافظ لما يأمره، حتى أصبح عزيزًا عند الإمام أحمد.

بعد بضعة أيام جاء والد زيد إلى المسجد ليصلي وجلس بجانب الإمام أحمد، عند انتهاء الصلاة خرج جميع المصلين فسأل والد زيد الإمام أحمد:

-هل ابني يحفظ القرآن الكريم؟ هل أخلاقه وتعامله مع زملائه جيدة؟

نظر إليه الإمام أحمد مبتسمًا وقال له:

-هنيئًا لك يا سعيد، إن ابنك ملتزم وجيد في أخلاقه وتعامله مع زملائه، ويحفظ القرآن الكريم كما أمرته.

فـــرح الأب فرحًـــا شـــديدًا حتـــى دمعـــت عينـــاه، وشكر الإمام على مجهوداته وانصرف.

عنـــد وصـــول الأب إلـــى البيـــت أخبـــر زوجتـــه بمـــا قالـــه الإمـــام فـــي حـــق ابنهمـــا زيـــد، فرحت كثيرًا وقالت:

-الحمـــد لله الـــذي جعـــل ابنـــي يحفـــظ القـــرآن الكريم ويسير في الطريق الصحيح.

مـــن شـــدة فـــرحهم اتفـــق الأب وزوجتـــه علـــى شـــراء هديـــة بســـيطة لابـــنهم لإفراحـــه وتحفيـــزه علـــى مواصـــلة الدراســـة وحفـــظ القـــرآن الكـــريم، فقـــرروا شـــراء دراجـــة هوائيـــة لـــه لأنـــه مقبـــل علـــى متابعـــة دراســـته فـــي الثانويـــة، عـــاد زيـــد مـــن المدرســـة ووجد دراجة هوائية جميلة للغاية، قال:

-لمن هذه يا أمي؟

أجابت الأم وهي مبتسمة: لك يا قرة عيني.

زيد: هل هذا صحيح يا أبي!

الأب: نعم، صحيح يا عزيزي، لقد اتفقت أنا وأمك على شراء هذه الدراجة لك، أتمنى أن تعجبك!

زيد: شكرًا لكم يا أبي وأمي، هذه هي أفضل هدية بالنسبة لي، وكل ما يأتي منكم فهو جميل، وأنتم الأجمل في حياتي كلها.

فرح زيد فرحًا شديدًا وعانق والديه وقبل رأسيهما وشكرهما مرة أخرى.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثاني

مـــرت ثـــلاث ســـنوات اســـتكمل زيـــد دراســـته فـــــي الثانويـــــة وحصـــــل علـــــى شـــــهادة البكالوريـــــا ويريـــــد مغـــــادرة المنـــــزل لاســـتكمال الدراســـة بعيـــدًا عـــن العائلـــة، فـــي ذلـــك الوقـــت كانـــت أختـــه مـــريم تتـــابع دراســـتها فـــي الســـنة الثالثـــة إعـــدادي وكانـــت متفوقـــة ومحبـــة لطلـــب العلـــم، لكـــن والـــدها أمرهـــا بـــأن تتوقـــف عـــن الدراســـة وتبقـــى فـــي البيـــت لتســـاعد أمهـــا فـــي شـــؤون المنـــزل، كـــان الأب بحكـــم ظـــروف الحيـــاة والعمـــل والمســـؤولية غيـــر قـــادر علـــى تـــوفير مســـتلزمات الدراســـة لأخيهـــا ولهـــا فـــي نفـــس الوقـــت، ســـمعت الأم بكـــلام الأب وحزنـــت لأنهـــا لا تريـــد أن تخـــرج مـــريم مـــن

المدرسة لكنها لم تستطع مواجهة زوجها سعيد وتعارضه، قالت:

-يا مريم لا تحزني ولا تقلقي من أبيكِ، فهو يريدكِ أن تواصلي دراستكِ لكن ظروف الحياة قاسية عليه وليست بقدرته توفير احتياجات المدرسة لكِ.

ذهبت مريم إلى جدتها فاطمة والحزن ظاهر على ملامح وجهها وطلبت منها أن تتحدث مع أبيها لكي يتركها تتابع دراستها.

قالت الجدة: افعلي ما قاله لكِ أبيكِ، لأنه هو أعلم بمصلحتكِ أكثر من أي أحد آخر.

مريم: لكن أنا يا جدتي أحب الدراسة وأجد راحتي فيها وأريد تحقيق أحلامي وأمنياتي.

الجـــدة: نعـــم يـــا حفيـــدتي أنـــا أتفهمـــكِ لكـــن صـــعب جـــدًا أن أقنـــع أبـــاكِ لكـــي يوافـــق علـــى مواصلة دراستكِ.

مـــريم: نعـــم يـــا جـــدتي لكـــن لا أحـــد يســـتطيع إقناعه إلا أنتي، أتمنى أن تقبلي طلبي.

الجـــدة: لا تحزنـــي يـــا مـــريم، عنـــدما يـــأتي أبـــاكِ مـــن العمـــل ســـأفعل كـــل مـــا بوســـعي لإقناعه لكي يتركِ تتابعين الدراسة.

مريم: شكرًا لكِ جدتي، ربي يحفظكِ لي.

عـــاد الأب إلـــى البيـــت وجلـــس بعـــد تناولـــه وجبـــة الغـــداء يشـــاهد التلفـــاز، فجـــاءت الجدة فاطمة وسألته:

-كيف حالك يا بني؟

الأب سعيد: بخير، الحمد لله يا أمي.

الجدة: لماذا منعت مريم من استكمال دراستها؟

الأب سعيد: نعم منعتها لأنني لست قادرًا على توفير مستلزمات ومتطلبات الدراسة لها ولأخيها لأن الظروف لا تساعدني، لدي مسؤولية المنزل، والمال الذي أكتسبه من العمل لا يكفي، فهو فقط يلبي الاحتياجات الأساسية للمنزل ويبقى جزء منه، قلت عندما يسافر زيد لاستكمال دراسته سأرسله له لتلبية حاجاته الأساسية هناك.

الجدة: والله يابني أنا أتفهمك وأتفهم كل الصعوبات التي تمر بها لكن أنا ضد فكرة أن تمنع مريم من متابعة دراستها وأتمنى أن تعيد النظر في هذا الموضوع جيدًا لأنني أثق بأنك ستجد الحل الذي سيجعل مريم تواصل الدراسة رغم ظروف وضغوطات الحياة.

الأب: إن شاء الله يا أمي سأفكر بكل ما قلتِ لي، وإن وجدت الحل سأخبركِ.

مرت ثلاثة أيام والأب لا يزال يفكر بالكلام الذي قالته له أمه، أصبح في حيرة وتراوده العديد من الأفكار والتساؤلات في عقله، هل يفعل ما أمرته به أمه أم لا؟

وصل به الحال إلى الحزن، فجاء زيد وسأله:

-أبي، لماذا أنت محزن!

الأب: لا شيء يا بني، فقط تعب العمل.

زيد: بصراحة لدي إحساس أنك تحاول إخفاء شيء أحزنك.

الأب: لا، كل ما قلته ليس فيه أي شيء، أنت فقط ركز على دراستك يا بني.

زيد: لا تحاول أن تخفي أو تكذب علي يا أبي، أنا أعرفك جيدًا ومتأكد أن هناك شيء أحزنك كثيرًا ولهذا أتمنى أن تقول لي ما الذي أحزنك يا أبي، لأن حزنك هو حزني وسعادتك هي سعادتي.

الأب: نعم يا زيد هناك أمر أحزنني كثيرًا وهو أنني قلت لأختك مريم أن تتوقف عن متابعة دراستها لأنني غير قادر على توفير احتياجات المدرسة لك ولها، لكن جدتك(أمي) قالت لي أن أترك مريم تتابع دراستها، وهذا هو الشيء الذي أحزنني لأنني إن قمت بمنع مريم من الدراسة أمي ستحزن، وإذا تابعت دراستها لن أتمكن من التوفيق بين احتياجات المنزل واحتياجاتك أنت وهي في الدراسة.

زيد: نعم يا أبي أتفهمك، ربي يحفظك لنا جميعًا، ولدي حل مناسب سيعجبك وهو أنني عندما أسافر من أجل الدراسة سأبحث عن عمل أقوم به في العطل وعندما لا توجد لدي حصة مدرسية لكي ألبي احتياجاتي المدرسية والشخصية هناك، والجزء الذي ستقوم بإرساله لي كل شهر خصصه لشراء احتياجات ومتطلبات الدراسة لأختي مريم.

الأب: لكن هذا لا يمكن يا زيد، كيف يمكن أن توافق بين الدراسة والعمل في نفس الوقت؟

زيد: لا تقلق من جهتي يا أبي أنا قادر على التوفيق بينهما، فقط ثق بي.

الأب: أنا أثق بك وفي قدراتك لكن هذا الأمر سيتطلب منك مجهودًا كبيرًا ومن

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الممكـــــن أن يـــــؤدي بـــــك إلـــــى معانـــــاة وتحديات.

زيـــد: أنـــت الـــذي ربيتنـــي علـــى مواجهـــة التحـــديات والصـــعوبات، ولهـــذا ســـأواجهها إن شاء الله بكل قوة وإرادة.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثالث

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وافق الأب على رأي ابنه زيد، وذهب إلى والدته وقال لها:

-ما قلتِه لي يا أمي صحيح، سأسمح لابنتي مريم بمواصلة دراستها.

فرحت الجدة وأخبرت مريم التي فرحت بدورها، توجهت مريم إلى والدها وشكرته قائلة:

-سأواصل دراستي بكل جدية واجتهاد وسأجعلك تفخر بي.

قرر زيد السفر لمواصلة دراسته الجامعية فجمع أغراضه ولوازمه، وعند اقتراب موعد خروجه من المنزل ودّع والدته ووالده وأفراد العائلة الذين شعروا بالحزن لأنه سيبتعد عنهم، انطلق زيد وعند وصوله إلى الجامعة

اتصل بعائلته ليخبرهم بأنه بخير، مع مرور الوقت بدأ زيد يرى الحياة من منظور مختلف تمامًا عمّا كان عليه داخل أجواء العائلة، تعلم كيف يوازن بين الدراسة والعمل في الوقت ذاته، ووجد نفسه مضطرًا للاعتماد على ذاته في أبسط الأمور مثل تحضير الطعام وتنظيم المكان الذي يعيش فيه، أدرك أنه إذا لم يقم بكل هذه الأعمال بنفسه فلن يجد من يقوم بها كما كان الحال عندما كان في حضن عائلته، هذا جعله يواجه العديد من المصاعب لكنه ظل صامدًا ولم يتأثر بها، صبر على كل المشقة من أجل تحقيق ذاته وأحلامه وطموحاته وأيضًا ليجعل والديه فخورين

بـــه ولإخـــراجهم مـــن متاعـــب الحيـــاة، كـــان زيـــد يعـــود إلـــى المنـــزل خـــلال العطـــل الصـــيفية ليقضـــي الوقـــت مـــع والديـــه، وهكـــذا اســـتمرت الأيـــام علـــى هـــذا الحـــال لمـــدة ثـــلاث ســـنوات حتـــى حصـــل زيـــد علـــى شـــهادة الإجـــازة، ومـــع هـــذه الشـــهادة بـــات بإمكانـــه الولـــوج إلـــى ســـوق العمـــل، عمّـــت الفرحـــة جميـــع أفـــراد العائلـــة واحتفلـــوا بإنجازه الكبير.

ذهـب زيـد إلـى غرفتـه لكـي ينـام، فجـأة دخـل عليـه جـده وطلـب منـه أن يسـمح لـه بالحـديث معـه، فرحّـب بـه زيـد، جلـس الجـد بجانبه على الكرسي وقال:

-ابنـــي أنـــت الآن أصـــبحت رجـــلاً واعيًـــا ومـــدركًا، أنـــت تعلـــم جميـــع المعانـــاة

والمشاكل التي يمر بها والدك، وللأسف قد مررت ببعض منها، ولكن الحمد لله الآن لقد أكملت دراستك وكل هذا بفضل الله علينا، أتمنى من الله أن يرزقك عملًا شريفًا، أنت ترى أنني أصبحت شيخًا عجوزًا وهَرِمًا ولم يتبقَ لي في عمري سوى القليل وربما اقترب وداع هذه الحياة، أنا أعلم أنك بنيتك الصافية واجتهادك المخلص أن الله لن يخيب ظنك وسيرزقك من حيث لا تحتسب، سترفع رأس أبيك وأمك وتجعلهم يفتخرون بك لكن نصيحتي لك (افعل الخير مهما كانت ظروفك صعبة).

لم يشعر زيد بنفسه إلا وقد دمعت عيناه وقال:

-سأعمل بنصيحتك.

ابتسم الجد وقال: سأذهب مع السلامة.

رد زيد قائلًا: لماذا قلت لي كل هذا يا جدي؟ هل تودعني؟

قال الجد: لا يا بني لكنني فقط أريد أن أذكرك وأنصحك حتى لا تذهب في طريق لا يليق بك، أنا أعلم صعوبة دروب الحياة التي لا ترحم أحدًا، ومع مرور الزمن ستدرك ما قلته لك.

ثم خرج الجد.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الرابع

مـــرَّ الزمـــان وقـــرر زيـــد الـــذهاب إلـــى مدينـــة الـــدار البيضـــاء بحثًـــا عـــن عمـــل يشـــغل بـــه وقتـــه حتـــى يُفـــتح بـــاب التســـجيل فـــي تخصـــص التربيـــة الإســـلامية الـــذي يحمـــل شـــهادة فيـــه، وصـــل زيـــد إلـــى مدينـــة الـــدار البيضـــاء يـــوم الاثنـــين وقـــام فـــورًا بالاتصـــال بوالديـــه ليطمئنهمـــا بأنـــه بخيـــر، ظـــل يبحـــث عـــن عمـــل متوجهًـــا إلـــى الشـــركات لتقـــديم ملفـــه الشخصـــي الـــذي يحتـــوي علـــى ســـيرته الذاتيـــة ومســـار دراســـته، كلمـــا قـــدم ملفـــه كان يسمع الإجابة نفسها:

"ارجع بعد أسبوع، سنتصل بك".

بعـــد انتهـــاء جولتـــه بـــين الشـــركات توجـــه إلـــى إحـــدى الحـــدائق للراحـــة وبينمـــا كـــان

يجلس هناك لاحظ رجلًا غريب الهيئة يتجه نحوه حتى وصل إليه وقال:

-السلام عليكم، هل يمكنك مساعدتي يا أخي؟ فأنا لست من هنا، وأنا كفيف العينين، وأخي الذي كان يرافقني في الطريق إلى المنزل ذهب ليشتري ماءً ولم يعد.

رد زيد قائلًا: وعليكم السلام، مرحبًا بك أخي، لكن لماذا تخلى عنك أخوك هنا؟ ألا يمتلك ضميرًا؟

اندهش زيد وأخذ يفكر في الأمر؛ كيف يمكن لأخٍ أن يتخلى عن أخيه؟

ثم قال فجأة: حسنًا، كيف يمكنني مساعدتك؟ إلى أين تريد أن تذهب؟

قال الرجل الغريب: أريد العودة إلى منزلي، فهل يمكنك إرشادي إلى الطريق؟

أجاب زيد: لا بأس، سأساعدك.

فأمسكه من يده وساعده في الطريق، أثناء المشي كانت تراود زيد أفكار سيئة لأنه لم يكن يثق بأحد نظرًا لكونه جديدًا في هذه المدينة ولا يعرف طبيعة سكانها ولا يعقل أن يثق بالرجل الغريب، فجأة نطق الرجل الغريب وسأل زيد:

-ما اسمك؟ ومن أين أتيت؟ يبدو من مظهرك أنك لست من أبناء مدينة الدار البيضاء.

أجابه زيد: اسمي زيد، وأنا من مدينة زاكورة الواقعة بالجنوب الشرقي.

ثم سأله زيد: ما اسمك أنت؟ وأين تسكن؟

لكن الرجل لم يرد عليه، ظن زيد أن الرجل لم يسمعه، حتى وصلا إلى شارع ضيق وبيوت مهجورة.

سأل زيد الرجل: هل هذا هو مسكنك يا أخي؟

فرد الرجل: نعم.

قال زيد: حسنًا بما أنك وصلت إلى منزلك، سأعود الآن مع السلامة.

شكره الرجل، فانطلق زيد بسرعة عائدًا إلى داخل مدينة الدار البيضاء حيث كانت الشمس قد اقتربت من الغروب، وبينما هو في طريقه، فوجئ بثلاثة أشخاص اعترضوا طريقه ووضعوا سكينًا على عنقه، قالوا له:

-ماذا تفعل هنا أيها الفتى؟

قال زيد وهو في حالة حيرة: من أنتم؟ وماذا تريدون مني؟

رد أحدهم: أعطِنا ما لديك في حقيبتك.

رفض زيد ذلك لكنه فجأة قام بتحريك السكين بسرعة وذكاء وحاول التصدي لهم، اشتبك مع الأول والثاني لكن الثالث باغته وضربه على رأسه حتى سقط على الأرض، اجتمعوا عليه بالضرب وأخذوا حقيبته وانصرفوا، بقي زيد فاقدًا للوعي لمدة نصف ساعة ثم عاد إليه وعيه، نهض وأدرك أنه تعرض للسرقة، جلس يفكر في حاله إذ كانت تلك النقود مخصصة لإقامته في الفندق حتى يتم الرد عليه من إحدى الشركات التي أبلغته أنها ستتواصل معه خلال ثلاثة

أيام، لم يكن أمام زيد سوى حل واحد وهو الذهاب إلى عمته خديجة التي كانت تسكن في مدينة الجديدة، فاستقل سيارة أجرة واتجه إليها، وصل إلى منزل عمته خديجة في الساعة التاسعة مساءً، فأخذ يطرق الباب حتى فتحت له، صُدمت برؤية ابن أخيها في هذه الحالة المؤلمة فأمسكته من يده وأدخلته إلى البيت ورحبت به.

قالت له: من فعل بك هذا يا زيد؟ وماذا حدث لك؟

وهو منهك ومتعب جدًا قال: تعرضت للسرقة من طرف أحد الأشخاص، أردت الدفاع عن نفسي فلم أقدر على ذلك، ووقع ما وقع.

قالت له: حسنًا يا ابني لا بأس، الحمد لله الذي لم يصبك شيء أسوأ من هذا.

أخذت الهاتف وقالت: سأخبر أمك وأباك ليأتيا لرؤيتك والاطمئنان عليك.

وبسرعة رد زيد عليها قائلًا: لا، لا، لا عمتي أرجوكِ لا تخبريهم، لا أريد أن يخافوا أو يحزنوا علي، بعد بضعة أيام سأستعيد صحتي تمامًا، فقط اجعلي الأمر بيني وبينك.

قالت: حسنًا كما تريد.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الخامس

نجح زيد في منع عمته خديجة من إخبار والديه بما حدث، وبعد مرور ثلاثة أيام لم يتحسن وضعه الصحي رغم أن عمته فعلت كل ما بوسعها وأعطته أدوية تقليدية لكن لا نتيجة لها وازداد الحال تدهورًا، فقامت خديجة بإقناع زيد أن تأخذه إلى المستشفى، فذهبت به إلى أقرب طبيب حينها كانت خديجة لا تملك مالًا كثيرًا مما دفعها إلى أخذه إلى المستشفى العام للدولة، في ظل معاناة الطريق وانعكاساتها وصلوا إلى المستشفى وقام الطبيب بفحص زيد، وعند الانتهاء أخبر عمته خديجة أنه يجب في أسرع وقت القيام بعملية جراحية لزيد لأنه لديه كسر حاد على

مستوى اليد، تراكمت الأحزان، شعر زيد بشيء من الخوف والتوتر لأن هذه أول مرة يريد أن يجري عملية جراحية، أصبح يشعر بالاكتئاب بسبب حالته الصحية والنفسية وما يراه داخل المستشفى من مرضى يعانون مثله ومن ظلم واحتقار وتهميش إذ يرى هناك أشخاصًا تفارق الحياة كل يوم ليس لأن أجلها وصل بل لأنهم لم يجدوا طبيبًا يقدم لهم المساعدة ويفحصهم في الوقت المناسب.

وفجأة وهو جالس على الكرسي يأخذ قسطًا من الراحة، دخلت امرأة عجوز ومعها طفلة تبلغ من العمر سنتين، كانت المرأة تصرخ بصوت عالٍ:

-ساعدوني، ساعدوني، ابنتي تموت، ابنتي تموت.

رغم صراخها وذلك المشهد الأليم الذي كانت عليه الفتاة لا أحد يهتم بهم ويبالي بهم، جلست المرأة على الكرسي وهي تحمل ابنتها بين يديها والدموع تترغرغ من عيونها على الحالة التي وصلت إليها ابنتها ولا أحد يهتم بها، مرت نصف ساعة ثم جاءت مساعدة الطبيب، فوجدت المرأة جالسة منهكة وقالت لها:

- ما بكِ؟

فردت المرأة: إنني جئت لمعالجة ابنتي لأن حرارتها مرتفعة جدًا ولم أجد أحدًا يساعدني.

قالت المساعدة: يجب أن يراها الطبيب أولًا، انتظري هنا حتى يأتي.

كذلك جلس زيد ينظر إلى تلك المرأة وهي تحمل في عينها تعاسة وحزنًا شديدًا، كانت تلك المرأة فقيرة وزوجها متوفى عنها، ليس لديها أحد سوى الله تعالى، وبفعل قساوة فقرها وطبيعة عيشها لم تكن قادرة على شراء الدواء من الصيدلية لابنتها، فقررت أن تتوجه إلى المستشفى العام للمدينة معتقدة في ذهنها أنهم سيمنحونها الدواء مجانًا لكنها انصدمت بما رأته من هوان وعدم احترام حقوق الإنسان والمرضى، ليس هذا فقط بل حتى أبسط الأجهزة والأدوية غير موجودة في المستشفى، وهكذا بقي الحال وظلت تلك المرأة تنتظر الطبيب ليأتي من أجل فحص ابنتها ويخبرها ما

سبب ارتفاع حرارتها بشكل مفرط وكيفية التعامل معها، أصبحت تنتظر من السابعة صباحًا إلى الرابعة مساءً ولم يأتِ بعد.

قال لها الحارس: اذهبي اليوم وعودي مرة أخرى غدًا لترَي هل الطبيب موجود أم لا.

في فجر يوم الثلاثاء خرجت المرأة وذهبت إلى المستشفى كذلك ومعها ابنتها حيث ازداد حالها تأزمًا، وكالعادة جلست تنتظر الطبيب هي وعدة أشخاص من مختلف المدن، هناك من يريد استشارة الطبيب وآخر يريد أخذ موعد لإجراء العملية، ومع مرور أربع ساعات وصلت إلى الحادية عشرة صباحًا وجاء الطبيب وفحصها بسرعة ثم أخبرها أن

تذهب في أسرع وقت ممكن إلى الصيدلية وتشتري دواء لطفلتها لأن حالتها الصحية والنفسية ليست جيدة، وكل تأخر قد يؤدي إلى نتائج مؤلمة ولا قدر الله قد تودع هذه الحياة.

سألته المرأة والدموع تترغرغ من عيونها كالمطر: هل يمكنك أن تمنحني هذا الدواء هنا من غير أن أشتريه؟ لأن والله ظروف الحياة تراكمت عليّ وليس بإمكاني شراء هذا الدواء، ربما سعره مرتفع.

فأجاب الطبيب: للأسف، لا يوجد لدينا هنا.

بعد فشل المرأة في إقناع الطبيب بمنحها الدواء أو مساعدتها، خرجت في طريقها متوجهة إلى المتجر الخاص بالأدوية،

إلا أنهـــا اكتشـــفت أن ســـعر الـــدواء مرتفـــع جـــدًا كمـــا كانـــت تتوقـــع وهـــي ليســـت قـــادرة على شرائه.

مضـــت ثلاثـــة أيـــام ولا يـــزال يـــوم واحـــد علـــى إجـــراء زيـــد العمليـــة الجراحيـــة، فجـــاءت عنـــده عمتـــه خديجـــة التـــي ذهبـــت تبحـــث عـــن النقـــود لكـــي تعـــالج ابـــن أخيهـــا وقامـــت ببيـــع بعـــض مـــن مجوهراتهـــا لكـــن رغـــم ذلـــك بقـــي هنـــاك نقـــص فـــي المـــال، فـــأخبرت زيـــد أنهـــا لـــم تســـتطع تـــوفير جميـــع الأمـــوال اللازمـــة وأنهـــا يجـــب عليهـــا إخبـــار والديـــه بمـــا حصل، قائلة له:

-إن لـــم أخبـــرهم ســـيحزنون ومـــن حقهـــم أن يعرفـــوا مـــا حـــدث لـــك، لأن فـــي الأخيـــر حتـــى لـــو كـــذبت علـــيهم، يومًـــا مـــا ســـيعلمون بكـــل

التفاصيل أو سيخبرهم أحدٌ غيري وربما يسبب لنا ذلك مشاكل.

غاص وتعمق زيد في تفكير عميق وأصبح يتساءل مع نفسه:

-"ماذا سأفعل الآن؟ جدي يكابد ويعاني من مرض مزمن، إن سمع بما حدث سيؤثر ذلك بشكل سلبي على صحته، كيف أخبرهم؟ إن سألوني من فعل بي هكذا، كيف سأجيب؟"

وبعد كل هذا التفكير والتساؤلات قرر في النهاية أن يخبرهم وأدرك أن ما قالته عمته هو الصحيح، في مساء ذلك اليوم جاء سعيد وزوجته عائشة لرؤية ابنهما، فحزنوا على ما وقع له وما تعرض له، وذهب سعيد إلى أخته

وسألها بكونها هي من تواصلت مع الطبيب منذ البداية وحدثها بكل شيء قائلاً:

-ماذا يجب فعله الآن؟ وبماذا أخبرك الطبيب؟ وكم ستكلف العملية؟

أجابته خديجة: قال لي الطبيب إنه يجب في أسرع وقت إجراء عملية لزيد، وأنا وافقت وقلت له أن يحدد لي يوم إجراء العملية وهذا اليوم هو غدًا، لكن هناك مشكلة في شأن المال، فقد قمت بتوفير نصف المبلغ الذي تحتاجه العملية ونحتاج إلى النصف الآخر، هل لديك شيء؟

قال سعيد: نعم أنا سأتكفل بالنصف الثاني، والنصف الأول عندما تنتهي

العمليـــة بخيـــر وتهـــدأ الأحـــوال ســـأقوم بإرجاعه لكِ إن شاء الله يا أختي.

يـوم الخمـيس صـباحاً دخـل زيـد إلـى غرفـة العمليـــات بعـــد أن ودّع عائلتـــه بأكملهـــا، كـــان يشـــعر بـــأن دخولـــه لهـــذه الغرفـــة قـــد يكـون نهايـة حياتـه ثـم مضـت نصـف سـاعة ولـم يخـرج أحـد مـن تلـك الغرفـة، ثـم مـرت ســـاعة ونصـــف والعائلـــة تنتظـــر خـــروج الطبيـب أو أحـد مـن الغرفـة ليطمئـنهم علـى زيـد ولكـن لا أحـد خـرج، فخلصـوا نجيًـا إلـى الـدعاء لـه بـالخير والصـحة والسـلامة ولكـل مـا يحملـه الفـؤاد مـن دعـاء جميـل، وبعـد مـرور سـت سـاعات خـرج الطبيـب مـن غرفـة العمليـات وأخبـرهم بنجـاح العمليـة وقـال إن زيـد الآن فـي صـحة جيـدة

فقط يحتاج إلى قسط من الراحة والعناية، فرح جميع أفراد العائلة حتى جيرانهم لأن زيد كان محبوبًا من الجميع فشكروا الله على نجاته من الموت وظلماته، فقد مر بأيام قاسية تحمل أشد الألم والأمل في نفس الوقت.

يمضي الدهر بجريانه المتقلب والمتغير، أحيانًا تغيرات تتميز بالسعادة، ومرة أخرى بالحزن، وأحيانًا بالألم.

استعاد زيد عافيته وقوته الجسمانية منها، الصحية والنفسية وكذلك المعنوية فجأة جاءه هاتف من صديقه أحمد الذي وقف معه في محنته القديمة داخل المستشفى، أحمد يعتبر من أهم وأبرز الأصدقاء لزيد حيث كان رفيقه منذ

الطفولة وتطورت الصداقة وأصبحوا كالإخوة، فأخبره بأن يلتقيان في أحد المقاهي لأجل رؤيته والاطمئنان عليه لأنه لم يره منذ فترة بعيدة، فلبى زيد النداء والتقى مع رفيقه أحمد وشربا داخل المقهى كأسًا من الشاي ثم بدأ الحديث بينهما، وراحة البال والسعادة مرسومة على وجوههما يضاف إلى ذلك أنه في عمق حديثهما يتذكران أيام الطفولة الجميلة، كيف كانوا فيها وكيف أصبحوا الآن، كان حلمهما في الصغر هو أن يصبحوا شبابًا كبارًا وأن تكون لهم الحرية والآن ظل أحمد يقول لزيد:

-ياليتني لو عاد بي الزمان إلى الوراء لأصلح ما يجب إصلاحه لكن للأسف لا يمكن ذلك.

إلى جانب ذلك هناك شيء من التحسر على ما وصلت إليه الحياة من انحطاط وتأزمات أخلاقية، علاوة على ذلك بغتةً وبدون مقدمات وتلميحات، سأل زيد أحمد بشأن تلك المرأة الفقيرة التي رأوها في المستشفى عندما أراد إجراء عملية جراحية، ماذا وصل بها الأمر؟ وكيف أصبح حالها؟

عبر زيد عن رغبته القوية بمساعدة تلك المرأة الفقيرة بشيء من المال حتى لو كان قليلًا، الأساس هو مساعدتها لكي تستطيع شيئًا ما من تلبية احتياجاتها وحاجات أطفالها لكونها تمتلك أربعة أطفال حيث دعا زيد أحمد إلى أن ينخرط معه بشيء من المال ويرسله إليها.

قال أحمد: إن الحقيقة المرة والمؤسفة أن تلك المرأة توفيت لها ابنتها بسبب ارتفاع حرارة رأسها بشكل مفرط جدًا، وبسبب ذلك الأخير لم تكن قادرة على الأكل أي شيء ولا حتى شرب الماء، وفي نفس اليوم الذي دخلت فيه يا زيد إلى غرفة العمليات، كنا نحن بالخارج ننتظرك حتى تخرج، جاءت تلك المرأة نفسها بسرعة وهي تصرخ بأشد صراخها لكي ينقذوا ما يمكن إنقاذه من طفلتها أو لكي يقوموا بتلقيحها بشيء معين من أجل التخفيف عنها، أو على الأقل تعويض أكلها وشربها الذي لا تستطيع تناوله، إلا أنه عند دخولها لم تجد الطبيب الثاني ولا مساعدي الطبيب،

المستشفى كان فارغًا تمامًا، هناك فقط المرضى، فسألت الحارس الداخلي عنهم قال لها إنهم يتناولون وجبة الغداء، فأخبرها أن تنتظر شيئًا ما حتى ينتهوا منه لكن الطفلة لم يبقَ لها صبر وجاءها الأجل المحتوم وتوفيت بين أحضان أمها

انصدم زيد وظل صامتًا لمدة قصيرة ثم قال لأحمد:

-كل هذه الأمور وقعت وأخفيتها عني!

لماذا فعلت هذا؟

أجاب أحمد: إنك كنت مريضًا في تلك الفترة ولذلك لم أُرد إخبارك حينها، لأنني لو أخبرتك ربما كان هذا الخبر سيؤثر عليك بشكل سلبي، وأنا لا أريد أن يحدث ذلك لك.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل السادس

"فـــراق الأحبـــة ورفـــاق دروبنـــا فـــي الحيـــاة صـــعب جـــداً اكثـــر مـــن الحزن والألم."

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل السابع

وهكذا بدأت العيش في حياة جديدة تغوص وتتعمق في الألم والأمل، في هذا العام تغيرت أحوال وطبيعة عيش العائلة اعتقد زيد أن هذه نهاية حياته لكنه لم يكن يدرك أن هذه سوى البداية، مضى الدهر سريعًا وما كاد الجد عبد الله يبلغ التسعينات من عمره حتى فاجأه الأجل المحتوم، لم يترك ابنه سعيد أي طبيبٍ ماهر إلا واستشاره وأتى به إليه من أجل أن يفحصه ويعالجه لكن دون جدوى ولا نتيجة، في الصباح حمل سعيد جثمان أبيه على نعشٍ خشبي ثم رفعه هو ورجال القبيلة وذهبوا به إلى مقبرة قريتهم ثم دفنوه والحزن والألم الشديد بدا ظاهرًا على ملامح وجه سعيد

رجع أخ زيد الأكبر الذي كان اسمه خالد من فرنسا ومعه زوجته، ففرح جميع أفراد العائلة بقدومه بخير وسلام رغم أن تلك الفرحة لم تكتمل لكون جدهم توفي حيث كان قبل وفاته مشتاقًا لرؤية حفيده خالد لكن القدر منعه من ذلك الحلم والاشتياق لحكمة، استمر الحال في هدوء وسكينة واطمئنان، ومرت الأيام والشهور، فرأى الأب أن ابنه خالد لم يخبرهم بشأن موعد عودته إلى عمله في فرنسا، فذهب إليه وسأله.

الأب: متى ستعود إلى العمل يا بني؟

خالد: حقيقةً يا أبي لقد حدث لي مشكل وهو سبب طردي من العمل وجئت.

الأب: ما هو هذا المشكل؟ وما طبيعته؟

خالد: في آخر هذه الأعوام عرفت الشركة عدة أزمات اقتصادية ومالية فلجأت إلى القروض من الأبناك، ومع تطور الزمن لم تكن لديها القدرة على استعادة القروض ودفع أجور العمال فعرضت للإفلاس، ونحن العمال تم طردنا، بعد هذا توجه كل واحد منا إلى مكان معين، وأنا بسبب خروجي من العمل لم أستطع تلبية حاجات أسرتي الأساسية، بالإضافة إلى أن صاحب المنزل الذي كنت أقطن فيه طردني منه لأنني تأخرت عليه في دفع أجرة المنزل، ولهذا قمت بالرجوع إلى بلادي وجئت.

الأب: لا بأس بني، الخير فيما اختاره الله تعالى.

توالت الأيام واستقر خالد في المغرب مع زوجته وابنهما مع أبيه وأمه، كان ابنهما اسمه علي، يتصف بالجمال وبشوش الوجه كالقمر في الليل يشبه جده كثيرًا، علاوة على ذلك كان لديه أخلاق فاضلة ومعروفًا داخل العائلة وبين أصدقائه بالطفل الخجول والمحتشم حينها كان يتابع دراسته في المرحلة الإعدادية.

جلس خالد يفكر ماذا سيفعل الآن، فقد أصبح والده هو من يصرف عليه وعلى العائلة بأكملها وهذا الشيء أقلق خالد جدًا إذ أدرك أنه كان سابقًا يعمل ولديه أجرة شهرية يتحمل بها مسؤوليته ومسؤولية زوجته وابنه، أما الآن فقد

ظل بلا عمل وغير قادر على تحمل مسؤولية العائلة حتى وصل به الأمر إلى رؤية نفسه كأنه عالة على والديه، إلى جانب أن زوجته أمست تنفر منه وتحتقره كما أنها تحبطه بدل الوقوف بجانبه ومساندته حيث أن زوجته لا يهمها أي شيء سوى نفسها وملذات الحياة ورغباتها في شراء الملابس والأثاث من أجل التباهي أمام الناس والمجتمع.

شعر خالد بالوحدة والحزن بسبب عدم تقدير الذات وبسبب خيانة الحياة له، لأنه عندما كان لديه عمل وأموال كان الكل يحترمه ويقدّره، أما الآن بعدما فقد كل شيء أصبح الكل ينفر منه كأنه

وحش أو ثعبان، حتى المنزل أصبح يخنقه كأنه في سجن، فقرر الذهاب إلى حديقة المنزل ليأخذ نفسًا ويرتاح من التفكير والتساؤلات والألم الذي يشعر به، كانت هناك شجرة ضخمة وسط الحديقة، فجلس أسفلها يبوح لها بما في قلبه مثلما كان يفعل في الصغر هو وأخوه زيد، فجأة عاد الأب من العمل وجلس يشرب الشاي ويتناول وجبة الغداء، وعند الانتهاء رأى من نافذة البيت خالد جالسًا بمفرده في الحديقة بجانب تلك الشجرة، فتذكر سعيد أن أبناءه في الصغر حينما يحزنهم أمر ما كانوا يتوجهون إلى تلك الشجرة باعتبارها متنفسهم الوحيد، ظل يمشي

بخطوات بطيئة باتجاه خالد حتى وصل إليه، فجلس بجانبه ولم يقل أي شيء لمدة عشرين دقيقة، فقط يشاهد السماء وغيومها الجميلة، فجأة قال له خالد:

-لماذا أتيت يا أبي؟

الأب: لأنني أحسست بأنك بحاجة لي.

خالد: كيف ذلك؟

الأب: هذه غريزة فطرية في الآباء يكتسبونها مع مرور الدهر، فكلما تعرض أحد أبنائهم للحزن حتى لو كان كبيرًا يشعرون به، وربما يكون هذا وحيًا من عند الله زرعه في قلوب الآباء.

خالد: أجل أبي أنا أعتذر منك، لقد أتعبتك معي ومع أسرتي، أنت ترى أنني ليس لدي أي عمل لكي أساعدك من خلاله،

أعتذر منك أبي وأعتذر من أمي كذلك، لقد أصبحت عالة عليكم.

الأب: خالد، هل أنا عزيز عليك؟

خالد: وهل هذا سؤال يا أبي؟ بالطبع أنت عزيز وغالٍ على قلوبنا ورفيق دربنا في هذه الحياة.

الأب: حسنًا، إذن أعرف ذلك، هل تريد رضى الله ثم رضاي عنك؟

خالد: نعم، نعم، نعم يا أبي! هذا هو هدفي.

الأب: إذا كنت تريده فعلاً فلا أريدك أن تعيد مثل هذا الكلام الذي قلته لي حتى بالمزاح، أتظن أننا نحن فقط أو أنت فقط من يعاني ويمر بهذه الصعوبات والمشاكل؟ بالتأكيد لا، لأن مجمل الناس تمر بمثل ما تمر به الآن، وأحيانًا هناك

أنـــاس يعـــانون أكثـــر منـــك، يضـــاف إلـــى ذلـــك أن مهمـــا وقـــع ومهمـــا حـــدث، أنـــت لســـت عالـــة علينـــا، واعلـــم أنـــه طالمـــا مـــا زلـــت حيًـــا فـــي هـــذه الـــدنيا الفانيـــة، لا تقلـــق ســـأقاتل وأفعـــل كـــل مـــا يجـــب فعلـــه، كمـــا أننـــي ســـأحملكم فـــوق رأســـي وأكتـــافي إلـــى أن تقفوا على أقدامكم وتُيسر لكم الأمور.

خالـد: أبـي أنـا أعـرف وأعلـم كـل هـذا، لكـن ضـميري يـؤلمني كثيـرًا عنـدما أراك تتعـب وتعـاني مـن أجلـي وأجـل إخـواني وأنـا لا أسـتطيع أن أفعـل شـيئًا حتـى محـاولاتي فـي البحـث عـن العمـل لـم تـنجح، فأنـا بلغـت مـن العمـر الثلاثـين، ورغـم أننـي حاصـل علـى ثـلاث شـهادات عليـا فـي مختلـف المجـالات لم أجد عملًا.

الأب: لا تحزن يا خالد، إن بعد العسر يسر، واعلم أن كل شيء كتبه الله لنا فهو لحكمة ما.

خالد: نعم يا أبي، ونعم بالله، شكرًا لك، شكرًا لك.

إن الأسرة كما كان نوعًا ما، لم يكن لها دخل مادي يكفيها في شؤون بيتها وحياتها بشكل عام، ستنهزم جدرانها وتتلاشى أغصانها نحو الانحراف وتسقط كرامتهم وعزة نفسهم في الأرض تحت أقدام مجتمع لا يرحم أحدًا.

فظل الأب سعيد يفكر ما المفعول في هذه الحالة؟ باعتباره الأب الكبير للأسرة حيث إذا حزن أحدهم يحزن هو أكثر منه، وإذا فرح أحدهم يفرح هو أكثر منه، ولهذا قرر أن يترك وظيفته (عامل

نظافة) ويسافر إلى الغرب وخاصة مدينة الدار البيضاء لكي يعمل هناك، لأن فرص الشغل في تلك المدينة كثيرة، يضاف إلى ذلك أن الأجرة جد مرتفعة مقارنة بجهة الجنوب الشرقي التي تعاني من التهميش والفقر الحاد، كما أن نسبة البطالة مرتفعة في هذه الجهة، أخبر زوجته عائشة بأنه سيسافر وأخبر أمه وكل أفراد العائلة، بالرغم من معارضة ابنه خالد لهذا الأمر حيث قال لأبيه أن يجلس ويسافر هو من أجل العمل لكن الأب لا يريد التراجع عن اتخاذ هذا القرار الحاسم وأخبر ابنه خالد بأن يجلس في البلاد مع أمه وزوجته وأولاده، وأن يكتفي هو فقط بالأعمال

التقليدية داخل البلاد، والسبب الرئيسي الذي جعل الأب يأخذ هذا القرار وعدم الرجوع عنه هو خوفه على خالد لكي لا يقع له مثل ما وقع لزيد، إلا أن ليس فقط خالد هو من عارض هذا الفعل بل الأم والجدة كذلك لكن لا أحد استطاع إقناعه ومنعه من السفر.

في فجر يوم السبت المظلم والموحش ودع الأب أفراد العائلة ثم حمل حقيبته على أكتافه ثم توجه إلى محطة الحافلات ومن ثم إلى مدينة الدار البيضاء، عند وصوله توجه مباشرة إلى بيت أخته خديجة وجلس عندها كما أنه قام بالاتصال بزوجته وأمه وأخبرهما أنه وصل بخير، مرت خمسة أيام وظل الأب

عند أخته، بالصدفة جاءته مكالمة هاتفية من صديق قديم فقط يريد أن يطمئن عنه وعن أحواله، فعلم أنه في مدينة الدار البيضاء وأنه يبحث عن عمل، فقدم له صديقه فرصة عمل في إحدى الشركات الكبرى، وبما أن الأب في ذلك الوقت بحاجة ماسة إلى عمل معين، وافق ثم بدأ في العمل معهم، بالإضافة إلى ذلك فإن من امتيازات هذه الشركة أنها توفر المسكن، وهذا من العوامل الأساسية التي دفعت الأب لموافقته على هذا العمل، بعد العمل في تلك الشركة بأسبوعين خرج الأب من عند أخته خديجة وأخذ أغراضه ثم استقر في ذلك المسكن الذي منحته له

الشـــركة، كـــان الأب يعـــود إلـــى الـــبلاد وعنـــد عائلتـــه فـــي الأعيـــاد فقـــط، عيـــد الفطـــر وعيـــد الأضحى.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثامن

بعد سفر الأب أصبح من الصعب تيسير شؤون العائلة، يُضاف إلى ذلك أن سفره كان له تأثير كبير على طريقة عيش العائلة داخل المنزل، أصبح خالد هو من تولى مكانته في المنزل وفي تيسير شؤونها الداخلية والخارجية بغض النظر عن عدم ارتكازه في عمل واحد إلا أنه كان يعمل في أي شيء كان داخل بلادهم حتى لو كان شاقًا أو متعبًا، أحيانًا في مجال البناء، ومرة أخرى في مجال حفر الآبار، لكن زيد كان في ذلك الوقت لا يعمل، فقط ماكث في المنزل، هو يبحث لكن لم يجد المجال أو العمل الذي يريده وغير قادر على الأعمال الشاقة لأنه لم يتأقلم معها منذ الصغر، الشيء الذي لم

يعجب خالد ونفر منه، زد على ذلك أنه طلب منه أن يخرج إلى الخارج ويعمل في أي شيء كان من أجل مساعدته في تلبية احتياجات العائلة، وإن لم يُرِد يغادر البيت، لكن زيد رفض ذلك بسبب عدم قدرته ودخلا معًا في صراعات ومشاجرات سيئة، لولا الأم التي تدخلت بينهما وصالحت بينهما بمشقة لتأزمت الأمور وتشاجروا بالقوة، لكن بفضل الله وبفضل تدخل الأم بشكل مباشر، وتدخل الأب بمكالمة هاتفية، خرجت الأمور سليمة وعلى خير.

كانت الأم عند مشاجراتهم حازمة وتميّزت بالقوة والشجاعة من أجل العدل بينهم وهذا جاء بمشقة كبيرة، وفي

الوقت نفسه حزنت على هذا الوضع الذي وصلوا إليه والذي لم تتوقع أن في أحد الأيام سيصل الأمر إلى هكذا، غضب خالد وأصبح يصرخ بشكل مرتفع لأن أخاه زيد لا يريد مساعدته والتضامن معه وقد فقد السيطرة على غضبه مما أدى إلى أخذه لكأس وقام بضربه على الأرض حتى انكسر، أما زيد فقد خرج من البيت لأن في معتقده وذهنه لا أحد يفهمه.

قالت الأم: أبهذه الطريقة تريدون النهوض بالعائلة وجمع شملها؟ لم ينتهِ حتى أربعة أشهر على سفر أبيكم ووصلتم إلى هذه المهزلة.

إن كثيـرًا مـن النـاس يـرى أن هـذه الحيـاة مليئـة بالمعانـاة فقـط مثـل خالـد الـذي ينظـر إلـى الحيـاة والواقـع المعـاش مـن منظـور معاناتـه وتحسـره لكـن فـي الحقيقـة هـذه الحيـاة الدنيويـة السـعيدة محملـة بالمفاجـآت أحيانًـا حزينـة ومؤلمـة وأحيانًـا سـعيدة ويغلـب عليهـا الاطمئنـان والسـكينة يمكـن أن يكـون هـذا خـداعًا أو وهمًـا إلا أن الإنسـان هـو الـذي يحـدد كيـف يريـد العـيش فـي هـذه الحيـاة، وكـل شـيء اعتقـده فـي قلبـه وذهنـه إلا وهـو يقـع لـه فـي واقعـه وبالتالي يعيشه.

ذات يـوم فـي المنـزل وكـلٌّ يخـرج ويـذهب إلـى أي مكـان يريـده، شـعرت الجـدة بشـيء مـن النقصـان والوحـدة لأنهـا تصـبح

جالسة لوحدها في مكان معين داخل المنزل، وزوجها عبد الله هو الذي يجلس معها فقط في أغلب الأحيان كما أنه يناقشها في أمور معينة حتى لو كانت تافهة للبعض، إلا أن بالنسبة لها السعادة تتجلى في تلك النقاشات، لكن في هذا الزمان المعاصر الذي لا يشبه الزمن القديم حيث التكنولوجيا ومظاهرها سيطرت على حياة الإنسان، ليس حياته فقط بل حتى منظوره وتفكيره كما أنها نجحت في إبعاده عن ثقافاته وعاداته، وهذا الشيء يظهر في معاملة أفراد العائلة للجدة فاطمة حيث إنها في هذا السن تريد فقط من يخدمها ويبتسم لها ويجبر بخاطرها، وباعتبار

ابنهـــا ســـعيد قـــد غـــادر البيـــت كمـــا أن أحفادهـــا كـــل واحـــد وأيـــن ذهبـــت بـــه الحيـــاة، بالإضـــافة إلـــى ذلـــك منـــذ وفـــاة الجـــد عبـــد الله ظلـــت مكانتـــه العاليـــة داخـــل البيـــت فارغـــة ولا أحـــد يســـتطيع تعميرهـــا وملأهـــا، أحيانًـــا تجـــد الجـــدة فاطمـــة تنظـــر إلـــى الســـماء ثـــم تقول:

"ذهبت وتركتني

وهل لي مكانة بجانبك

أم أنك غادرت كالدهر ونسيتني

ألم تعلم أن في القلب محبة كغيوم السماء"

ســـمعها زيـــد وانـــدهش بقولهـــا لهـــذه الأبيـــات الشـــعرية التـــي تحمـــل فـــي عمقهـــا عـــدة معـــانٍ، ذهـــب زيـــد واستشـــار أمـــه فـــي شـــأن مـــا قالتـــه جدتـــه، انصـــدمت هـــي كـــذلك وقالـــت له:

-اقترح عليها أن تخرج معك إلى الخارج واذهبوا إلى الحديقة من أجل أن تغير الجو وربما ترتاح نفسيتها.

أعجب زيد بهذه الفكرة ووافق عليها، في المساء خرج زيد رفقة جدته إلى الحديقة وأمسك يدها حتى لا تسقط على الأرض لأنها امرأة هرمة وكبيرة في العمر، وفي طريقهم كان يسألها عن زمنهم القديم وماذا كانوا يفعلون فيه؟

فبدأت بالحديث له بأنها كانت تذهب في كل صباح باكرًا إلى الحقول وترعى الغنم إلى أن تصل الساعة الحادية عشرة صباحًا ثم تغادر الحقول وتذهب إلى المنزل من أجل إحضار وجبة الغداء لزوجها ولأهل البيت، أما عبد الله فهو

كان يظل في الحقول النهار بأكمله حيث يسقي الحرث، وبعد الانتهاء من عمله يأتي إلى المنزل، كما أنه كل يوم أحد كان يجمع علب التمر ويحملها على حماره ثم يتوجه إلى السوق الأسبوعي في المدينة وهكذا كانت حياتنا في الماضي حيث يغلب عليها الطابع التقليدي.

كان زيد سعيدًا بما حكت له الجدة، وقال لها:

-ما أجمل زمانكم كله بساطة وتغمره راحة البال والسعادة، أما نحن الآن في هذا العصر المخيف والموحش كل شيء موجود فيه لكن السعادة والاطمئنان والسكينة منعدمة فيه في بعض الأحيان، بالإضافة إلى ذلك قلت فيه الرفقة

الصالحة وانعدمت فيه صلة الرحم بين الأقارب كما أن الكل أصبح يتصارع على الدنيا وأموالها ولمعانها وممتلكاتها، محزن جدًا ما يقع في هذا الزمان الحالي أنا لا شيء يفرحني فيه، كله مليء بالنفاق والحقد والحسد.

ردت عليه الجدة: إن ما قلته يمكن اعتباره صحيحًا من بعض الجوانب الحياتية إلا أن في نفس الوقت فهذا العصر جميل مقارنة مع القديم، فقط يجب على الناس أن يتمنوا الخير لبعضهم البعض كما يجب عليهم تصفية نواياهم وقلوبهم، إلى جانب أن الآن كل شيء متوفر، أما القديم فرغم توفر راحة البال والسعادة، فهو شاق ومتعب

جـــدًا بالمعانـــاة والتحـــديات ويتطلـــب صـــبرًا كبيرًا.

وصـلوا إلـى الحديقـة ثـم جلسـا همـا الاثنـين معًا، قال زيد للجدة:

-الجو جيد وجميل جدًا هنا، أليس كذلك؟

الجـدة قائلـة: نعـم إنـه جميـل، شـكرًا لـك يـا حفيـدي لأنـك لـم تتركنـي لوحـدي ولـم تنسـني وقمـت بـاقتراح علـيّ الخـروج إلـى هـذه الحديقـة الممتـازة، أتعلـم أننـي مـن زمـان بعيـد لـم أخـرج، أظـل فقـط داخـل البيت.

زيـد: لا، لا تقـولي هـذا جـدتي، هـذا واجبنـا نحـن، واعلمـي أننـي طالمـا مـا زلـت علـى قيـد الحيـاة لا تخـافي ولا تحزنـي، سـأكافح وسـأفعل كل ما بوسعي حتى تكوني أنتِ سعيدة.

تبسمت الجدة وقالت: شكرًا لك حفيدي الغالي ربي يبارك فيك ويحفظك، واعلم أنني أدعو لك في صلاتي بالتيسير والنجاح الدائم كما أنني أدعو لجميع أفراد الأسرة، بالإضافة إلى ذلك أبشر فإن الله لن ينساك وسيرزقك من حيث لا تحتسب، لأنني في أحد الأيام رأيت رؤيا في منامي ثلاث مرات، وهذه الرؤيا ربما تدل على أنه رغم كل هذه المعاناة والمشاكل التي مرت بك، فإن الله سيرفع شأنك وربما يصبح لك مجد كبير، لكن أريد منك طلبًا بسيطًا.

زيد: ما هو هذا الطلب يا جدتي؟

الجدة: لا تخبر أحدًا بما قلته لك، لأن هذه فقط رؤيا، والله أعلى وأعلم هل هي

صحيحة أم لا، زد على ذلك نصيحتي لك دائمًا هي أن تعمل بجدية وبنية صادقة.

زيد: نعم جدتي سأعمل بما قلته لي، أطال الله في عمرك.

بعد هذا النقاش والحديث الجميل الذي يحمل عدة نصائح ومعانٍ معمقة، ذهب زيد إلى مقهى قريب جدًا من الحديقة وأخذ منه كأسًا من الشاي، بعد ذلك أتى به إلى الجدة، وقال لها:

-هل تريدين شيئًا آخر؟

أجابته: لا، لا شكرًا، اجلس فقط.

جلس زيد وهو ينظر إلى أشجار الحديقة وأزهارها المتنوعة كما يشاهد الناس تتراقص في الشارع، وبين غمضة عين وانتباهتها، قالت الجدة:

-لن أنسى ولن يذهب من ذهني وعقلي ذلك اليوم الذي أشرقت شمسه وجئتَ فيه أنت إلى الدنيا، حملتك بين يدي والنور والبراءة ظاهرة على وجهك، والسماء محملة بالأمطار، حينها كان جميع أفراد العائلة فرحين بقدومك، ووصل وقت التضحية لك، وضحى لك أبوك بعجل كبير، وقام بحفلة كبيرة ومتميزة احتفالًا بقدومك لهذه الدنيا.

ابتسم زيد والافتخار والاعتزاز بالنفس ظاهر على ملامح وجهه، وتذكر والده الذي غادر البيت والبلاد من أجل العمل وإنقاذ العائلة من الفقر، وعبّر عن أنه مشتاق له كثيرًا، رغم أننا نتواصل معه

عبر الهاتف إلا أن مكانته الضخمة تركت فراغًا بيننا وفي المنزل أيضًا.

أجابته الجدة: نعم، نعم حفيدي، أحيانًا الحياة تفرض علينا العيش في واقع ربما لا نريده وهذه هي سنتها.

فجأة رأت الجدة امرأة من بعيد تحمل قفتين كبيرتين واحدة على رأسها والأخرى تمسكها في يدها، فتوقفت لكي تأخذ قسطًا من الراحة ثم رأت شابًا ذاهبًا في اتجاه طريقها إلى منزلها وطلبت منه المساعدة، فسخر منها ولم يلبّ لها طلبها.

فقالت الجدة لزيد: أترى تلك المرأة وما فعل معها ذلك الشاب الذي لا يريد مساعدتها في ما تريد؟

زيد قائلًا: نعم، رأيته.

فأمرته الجدة بأن يذهب ويساعدها لكن زيد رفض وقال:

-لا يمكن أن أتركِ وحدكِ هنا وأذهب، لا يمكن جدتي، لا قدّر الله ذهبت ووقع لك شيء ما، لن أسامح نفسي وضميري.

أجابته الجدة: لا، لا تخف، ثق بي، أنا سأجلس هنا حتى تأتي أنت، والله سيحفظني وهو خير الحافظين، ولهذا اذهب وساعدها، فإنها هي الآن في أمسّ الحاجة للمساعدة.

زيد: حسنًا، حسنًا جدتي.

نهض زيد وتوجه باتجاهها.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل التاسع

عند وصوله إليها ساعدها وحمل أغراضها على كتفه واستمروا في طريقهم باتجاه منزلها، كانت تلك المرأة من خلال مظهرها الخارجي تبدو من طبقة البرجوازية وهذا يظهر في ملابسها وحقيبتها الفاخرة، إلى جانب ذلك عندما تحدثت مع زيد، أدرك أنها بالطبع من الأغنياء، وتأكد من خلال عقلها ووعيها ونظراتها كذلك لهذه الحياة، أما في طريقهم وقبل وصولهم إلى البيت، سألت المرأة زيد عن اسمه وكذلك عن حياته وعرفت أنه ابن أسرة فقيرة لكنها لا تعاني من الفقر الحاد بل هي أسرة ذات عيش متوسط، كما أدركت أنه مثقف وأكمل دراسته الثانوية

والجامعية أيضًا، وأهم شيء أنها عرفت أنه يعاني من البطالة ويبحث عن العمل، هذا إضافةً إلى أنها أخبرته أنه يتميز بعقل وفكر جميل، ويتميز أيضًا برؤيته لهذه الحياة باعتباره ينظر إليها بنظرة بعيدة يغلب عليها الحب والسعادة والأمل فيها بعد كل المعاناة والمشاكل، وخاصة معاناة الفقر والبطالة التي يواجهها.

وفي قربهم من البيت وخاصة في الشوارع المؤدية إليه، اندهش بجماليتها وأشجارها العميقة وأزهارها المتنوعة، زد على ذلك نظافة عمرانها وبناياتها العالية، كانت جدران تلك المنازل المجاورة لمنزلها مدهونة كلها باللون البرتقالي، وأحيانًا فيها شيء من اللون

الأخضر والأبيض، كما أن كل منزل مروا بجانبه، رأى سيارة من الطراز الرفيع والسيارات الفاخرة واقفة أمام أبواب بيوتهم، وبين غمضة عين، سأل زيد المرأة:

- هل لديك أولاد؟

فأجابته: أجل، لدي ولد واحد لكنه ليس هنا، فقد سافر إلى مدينة طنجة واستقر هناك، هو رجل أعمال ولديه مجموعة من الشركات، أحيانًا يأتي إلى هنا لكن ليس دائمًا، ففي أغلب الأوقات تجده في مدينة طنجة وينتقل إلى عدة بلدان في العالم من أجل العمل، أما أنا فقد استقررت هنا مع زوجي.

قال زيد: حسنًا، ربي يحفظهم لك.

ثم قال لها: أظن أن منزلك لا يزال بعيدًا، في الحقيقة أنا خائف على جدتي أن يقع لها شيء ما لأنني جئت وتركتها في الحديقة.

ردت عليه المرأة قائلة: لا تخف ابني لقد اقتربنا من المنزل، شكرًا لك وأعتذر منك.

وصل زيد والمرأة إلى بيتها وقام بإدخال أغراضها ورحلت إلى البيت، بينما في دخوله وجد زوجها مسعود وتعرّف عليه كذلك وشكره، كما أنه رحب به من أجل شرب كأس من الشاي لكنه رفض ذلك وأخبره أنه ترك جدته ويريد الرجوع إليها سريعًا، إلى جانب ذلك عندما رفض زيد الجلوس، قال له مسعود:

-بما أنك لا تريد ذلك، اترك لي رقم هاتفك.

ثم تركه له وشكره مرة أخرى واعتذر منه كثيرًا على كل ما قام به من تضحية ومغامرة ومساعدة أيضًا، كان مسعود رجلًا يبلغ من العمر الخامسة والثمانين وسيطرت عليه الشيخوخة على ملامح وجهه، كما أنه متوسط القامة ويتميز بجسم ضخم، يضاف إلى ذلك أنه يستعمل كرسيًا متحركًا باعتباره يعاني من مرض، وكان سبب جلوسه على ذلك الكرسي حادث سير وقع له في شبابه حيث كان عائدًا من العمل في ليل مظلم، وكانت الأمطار تهطل من السماء بقوة شديدة ولم يعلم ماذا وقع له حتى اصطدم بشجرة بجانب الطريق.

زد على ذلك أنه لديه فتاة اسمها هند، حينها كان عمرها يتراوح بين التاسع عشر والعشرين، كما أنها كانت فتاة جميلة وتحترم أباها وأمها، أما فيما يخص قامتها فهي متوسطة، إلى جانب أنها لديها أخلاق فاضلة وقيم عالية، وما يميزها عن غيرها رغم أنها من العائلات الغنية والأثرياء هو أنها تتميز بحيائها الشديد وعفتها، في ذلك الوقت كانت هند تتابع دراستها في الجامعة وكانت متفوقة في دراستها، لا من حيث أيام دراستها في الثانوية فحسب بل وحتى الآن في الجامعة كذلك إذ كانت متميزة وتحصل على نقاط عالية، كل من يرى هذه الفتاة من طباعها الخارجية يظن أن

لهـــا شخصـــية نرجســـية ومتكبـــرة لكـــن فـــي الحقيقـــة ومـــا وراء المظـــاهر فهـــي فتـــاة متواضـــعة وتفعـــل الخيـــر كمـــا أنهـــا تتصـــدق علـــى الفقـــراء والمســـاكين، وأبوهـــا هـــو الـــذي أمرهـــا بـــذلك، ومـــا يـــدل علـــى ذلـــك أنهـــا فاعلـــة اجتماعيـــة وتشـــارك فـــي الجمعيـــات الخيريـــة وكـــذلك الجمعيـــات التـــي يكـــون مبتغاهـــا وهـــدفها هـــو الرفـــع مـــن وعـــي وتنمية المجتمع.

هـــذا بالإضـــافة إلـــى أن داخـــل ذلـــك المنـــزل، هنـــاك امـــرأة اســـمها زينـــب لهـــا نفـــس عمـــل والـــد عبـــد الله، وهـــذا الشـــيء كـــان لـــه دور أساســـي فـــي تـــأثير تلـــك المـــرأة علـــى شخصـــيته ونفســـية زيـــد حيـــث تـــذكر معانـــاة ومشـــاكل والمشـــقة أيضًـــا التـــي يمـــر بهـــا

والـــده فـــي ذلـــك العمـــل الشـــريف، كـــان يقـــول فـــي ذهنـــه لا أدري مـــا الـــذي دفـــع تلـــك المـــرأة إلـــى العمـــل فـــي مثـــل هـــذه الأعمـــال الشاقة، لأن المنزل كبير وضخم جدًا.

رغـم كـل هـذا إلا أنهـا امـرأة عجـوزة شـيئًا مـا ومـن ملابسـها ومظهرهـا يتبـين أنهـا مـن العـائلات التقليديـة، عـلاوة علـى ذلـك فهـي معروفـة بحسـن خلقهـا وسـخائها وتعاملهـا الجميـل مـع جميـع أفـراد تلـك العائلـة، كانـت زينـب بمثابـة الأخـت والأم الثانيـة لهنـد حيـث كانـت فـي الصـغر كلمـا أرادت أن تنـام تحكـي لهـا قصـص قصـيرة منهـا قصـص الأنبيـاء وقصـص أخـرى متنوعـة، حيـث إن تلـك المـرأة الخاصـة بنظافـة البيـت كانـت تقـوم بتـأليف قصـص،

وفي كل ليلة تسردها لهند حتى تنام باعتبارها محبة القصص والحكايات العجائبية لكن السؤال المطروح: كيف بامرأة على وشك الوصول إلى الشيخوخة تستطيع كتابة مجموعة من القصص والحكايات؟ إن تلك المرأة درست في المستوى الابتدائي فقط لا غير إلا أنه عندما كانت في المستوى الخامس ابتدائي بدأت في كتابة قصص قصيرة جدًا وحكايات، أحيانًا واقعية وأحيانًا خيالية، وبفعل أنها كانت تدرس عند أستاذ اللغة العربية، كانت تشارك تلك الحكايات والقصص إلى جانب الخواطر معه، وكان يقدم لها وجهة نظره حول المضمون والأخطاء الإملائية

وكذلك النحوية من أجل تحسين وتطوير مهاراتها وقدراتها الكتابية، كان ذلك الأستاذ اسمه عبدالرحيم، طويل القامة، لونه أبيض، كما أنه معروف داخل المؤسسة بـ "أستاذنا وأبينا" نسبة إلى تقديره واحترامه وكذلك نسبة إلى شخصيته وعظمته القيمة، لا من حيث ما هو أخلاقي وتعاملي، ومن حيث أيضًا دراسته وتفوقه في تخصصه ومجاله وطريقته في إيصال فكرة الدرس إلى تلاميذه وتعاملهم الجيد معه، وكذلك تعامله الجيد مع جميع الأساتذة والأطر التربوية والإدارية للمؤسسة، والدليل على ذلك أن كل أفراد المدرسة بجميع أنواعهم ومكانتهم الاجتماعية يحترمونه

ويمدحونه، ليس فقط هم بل حتى رجال الحي الذي توجد به المدرسة يقدرونه حتى وصل بهم الأمر إلى ترحيبهم به في بيوتهم في أمسية غذائية، بعد مرور بضعة أيام اكتشف الأستاذ أنها لديها موهبة كبيرة بالكتابة، الشيء الذي دفعه إلى إخبارها بموهبتها الممتازة، وأنها إن استمرت على هذا النهج ربما تصبح كاتبة مشهورة، فرحت كثيرًا وذهبت وأخبرت أباها الذي كان مساندًا لها من جميع الجوانب، وبفضل الله تعالى ثم بفضل أبيها الذي ساندها، وكذلك بفضل أستاذها الذي كان دائمًا داعمًا لها في جميع الأوقات ويحفزها كما أنه يشجعها على الكتابة والاستمرارية، استطاعت

أن تصدر قصتها الأولى والتي كانت تحمل في طياتها الكثير من الحب والامتنان والمدح والشكر إلى والدها، يضاف إلى ذلك مجموعة من الدروس والعبر التي يمكن أن يستفيد منها الإنسان في حياته، وكل هذا الإنجاز الكبير حققته وهي في سن صغير جدًا، وكان هذا الإنجاز سببًا كبيرًا في الافتخار والاعتزاز بنفسها في زمن كانت فيه المرأة تُحتقر وتُهان، كما أنه كان سببًا رئيسيًا في حصولها على أعلى معدل في المستوى السادس ابتدائي على مستوى مدرستها وقريتها، بعد انتهاء زينب من المرحلة الابتدائية، قامت مؤسستها بالاحتفال بها باعتبارها كانت من

المتفوقين على مستوى المؤسسة، وفي ذلك الاحتفال تم منحها مجموعة من الهدايا حيث كانت تلك الهدايا عبارة عن عدة كتب وروايات لأنها معروفة داخل مؤسستها وفي حيها بأنها تحب القراءة والمطالعة كذلك، ولهذا تم التركيز في شراء الهدايا على الكتب في مختلف المجالات كما تم منحها شهادة تقديرية خاصة بها وشهادات شكر وتقدير كذلك، وتم تسليمها لأصدقائها الذين حصلوا على الرتبة الثانية والثالثة، هذا بالإضافة إلى أن أستاذها الذي كان يدعمها دائمًا قدم لها هدية خاصة بها، وكانت هذه الهدية عبارة عن دراجة هوائية جميلة جدًا، وكانت هذه الدراجة

باللون الأحمر، وجاءت هذه الكفاءة والهدية القيمة لأن الأستاذ عبدالرحيم رأى أن زينب من عائلة فقيرة الحال ومقبلة على مرحلة جديدة من مراحل حياتها الدراسية باعتبارها تريد الانتقال من الابتدائية التي توجد بجانب منزلهم إلى الإعدادية التي تبعد عن منزلهم بثلاثة كيلومترات على الأقل ولهذا فضل أن يقدم لها هذه الهدية (دراجة هوائية)، لأنها ستساهم في مساعدتها في الانتقال من بيتها إلى المدرسة، إلى جانب ذلك تم التقاط صور تذكارية مع المتفوقين، ومرت الأجواء في جو يغمره السعادة والفرح والافتخار بالنفس كذلك. وإلقاء كلمة شكر وتقدير من زينب وعدة تلاميذ

انتهت المرحلة الابتدائية بحزنها وألمها وفرحها كذلك واستفاد التلاميذ من عطلة صيفية مدتها تقريبًا شهرين ونصف، كانت زينب سعيدة بنجاحها وتنتظر بشوق وحنين كبير انتهاء العطلة الصيفية من أجل الالتحاق بالمدرسة الجديدة (الإعدادية)، لكن الإنسان يخطط ويفكر في أشياء كثيرة إلا أن الله تعالى هو الذي يحدد ماذا سيقع له في المستقبل، وهل ستتحقق خطته وحلمه أم لا، وهذه هي خلاصة الحياة وسنتها، ويجب على الإنسان تقبل واقعه سواء كان محزنًا أم مفرحا.

وكالعادة كان أب زينب يذهب إلى العمل في كل صباح حيث كان يعمل في مجال

البنـــاء، إلا أنـــه فـــي أحـــد الأيـــام كـــان صـــباحًا ممطـــرًا شـــيئًا مـــا، وكـــان أب زينـــب يعمـــل فـــي أحـــــد البيـــــوت المهجـــــورة حيـــــث يريـــــد صـــاحبها إعـــادة ترميمهـــا وبنائهـــا، كـــان أب زينـــب يعمـــل مـــع أحـــد أصـــدقائه حيـــث كـــان الأب فـــي الأســـفل والصـــديق فـــي الأعلـــى، وكان الأب يقول لصديقه محمود:

-إننـــي أريـــد تـــوفير أكبـــر قـــدر مـــن المـــال مـــن أجـــل أن أســـتطيع تلبيـــة حاجـــات ابنتـــي لأنهـــا مقبلة على مرحلة مهمة في دراستها.

وعنـــدما وصـــلت الســـاعة الثانيـــة عشـــرة صـــباحًا، انتهـــى الأب مـــن أشـــغاله فـــي الأســـفل، وأمـــره صـــديقه بـــأن يســـاعده فـــي حمـــل خمـــس أكيـــاس مـــن نـــوع "أســـمد" إلـــى الطبقـــة الثانيـــة، وافـــق الأب وانطلقـــا فـــي

حمل أكياس الأسمد إلى الأعلى، وعندما بقيت ثلاث أكياس، شعر أب زينب بشيء من الحرقة على مستوى الرأس، فلاحظه صديقه الشيء الذي أدى إلى أمره بالجلوس، لكن أب زينب أصر على مواصلة العمل، وعندما حمل الكيس الأسمد الرابع وهو في صعوده إلى الطابق الثاني، سقط على رأسه من الطابق الثاني إلى الأول، أخبر صديقه سيارة الإسعاف بسرعة، لكن للأسف قبل وصولها بعشر دقائق جاءه الأجل المحتوم وتوفي، وفاته أصدرت معاناة ومشاكل اجتماعية واقتصادية داخل أسرته باعتبار أن أسرته تتكون من زوجته وابنته ولا يوجد لديهم أي أحد،

مما أدى إلى مرورهم بمعاناة قاسية استمرت لمدة طويلة، هذه العوامل والنتائج كلها دفعت زينب إلى التضحية بدراستها وموهبتها في الكتابة وكل أحلامها وخرجت منذ سن صغيرة إلى العمل في المنازل المجاورة لهم، وبعدها عندما قلت الأجرة، كانت تسافر إلى مدن بعيدة من أجل العمل عند العائلات الغنية وكان عملها تنظيف المنازل والحدائق، إلى أن وصلت إلى حضن هذه العائلة حيث وجدوا فيها الأمانة والصدق واهتموا بها وبعائلتها، بالإضافة انهم اعادوا فيها الأمل وقدموا لها كل الدعم والتشجيع والتحفيز من أجل العودة لمواصلة دراستها، لكن هي للأسف

تعبت واكثر شيء اتعبها هو الحياة وقساوتها ولم تصل إليهم حتى بلغت الثلاثين من عمرها.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل العاشر

عاد زيد بسرعة إلى الحديقة، وعند وصوله وجد الجدة في مكانها بخير وسلام.

سألها: هل أنتِ بخير؟

أجابته: نعم، الحمد لله.

الجدة قائلة: أين تأخرتَ؟

زيد: تأخرت لأن الطريق طويل شيئًا ما لكن الحمد لله ساعدتها وكل شيء تم بخير.

الجدة: حسنًا حفيدي وفقك الله، هيا إذن لنذهب إلى منزلنا نحن.

في طريقهم ظل يعيد ما رآه من مظاهر وجمال في حيهم وشوارعهم، قال:

-تعلمين يا جدتي، والله هذه العائلة عيشها مختلف تمامًا عن عيشنا، منزلهم جميل جدًا من خارجه ومن داخله، حيث من خارجه تحيطه حديقة كبيرة وضخمة

للغايـــــة مليئـــــة بالأشـــــجار المثمـــــرة والمتنوعـــــة: أشـــــجار الزيتـــــون، أشـــــجار النخيـــل ثـــم أشـــجار البرتقـــال، وكـــذلك ممتلئـــة بالأزهـــار والـــورود كـــلٌّ مختلـــف عـــن غيـــره، هـــذا إلـــى جانـــب صـــوت جميـــل لزقزقـــة العصـــافير، فـــي الحقيقـــة مثـــل هـــذه المنـــازل عنـــدما تـــدخل لهـــا تشـــعر براحـــة نفســـية، أحيانًـــا تنســـى واقعـــك المعـــاش، أمـــا فـــي داخلـــه روعـــة وضـــخم كـــذلك يتميـــز فـــي جدرانـــه وأســـقفه بـــالجبس وديكوراتـــه العصـــرية وأحيانًـــا التقليديـــة، ممـــا أضـــفى عليـــه جماليـــة فريـــدة وخاصـــة بـــه، كـــذلك لـــه ألـــوان مختلفـــة فـــي جميـــع جدرانـــه وأســـقفه، وهنـــاك فـــي داخلـــه عـــدة أوانٍ فـــاخرة عبـــارة عـــن ديكـــورات وأثـــاث مـــن الطـــراز الرفيـــع

لكن في الحقيقة أحزنني شيء كثيرًا حيث إن أباهم مريض بأمراض مزمنة وجالس على كرسي متحرك نسأل الله له الشفاء، علاوة على ذلك أعجبني ثراؤهم وطريقة عيشهم، أتمنى لو أنني أستطيع أن أعيش مثلهم في الغنى والثراء.

الجدة: ما شاء الله، أنت فقط ذهبتَ لمساعدتها إلى أن تعرفتَ عليها وعلى عائلتها وثقافتهم وتقاليدهم، على الأساس يمكنك من خلال هذه العائلة أن تخرج بخلاصة الحياة: أحيانًا يمكن أن يكون لديك مال كثير، تستطيع شراء كل ما تريده وتعيش الحياة بملذّاتها ومنزل ضخم وجميل جدًا، لكن قد يفتقر صاحب هذا الشيء إلى الصحة، والصحة أغلى

شـــيء، فـــإن وُجـــد المـــال ولـــم توجـــد الصـــحة السـليمة، فمـــا معنـــى الحيـــاة؟ ومـــا قيمـــة ذلـــك المـــــال الكثيـــــر؟ زد علـــــى ذلـــــك، يمكـــــن أن يفتقـــر إلـــى الحـــب، الســـعادة، وتقـــدير الـــذات، ولهذا لا تغرّنك ولا تخدعك المظاهر.

وصـــل زيـــد هـــو وجدتـــه إلـــى منـــزلهم، فأخبرتهم، قالت الأم للجدة:

-هيا لنبارك لجارتنا حليمة لقد ازداد عندها ابن.

ثـــم ذهبـــوا وأخـــذوا معهـــم بعـــض الهـــدايا للطفـــل وبـــاركوا لهـــم بكـــل فـــرح، كانـــت حليمـــة لـــديها فتـــاة جميلـــة تبلـــغ مـــن العمـــر عشـــرون عامًـــا، فنالـــت إعجـــاب الجـــدة والأم كـــذلك فقـــرروا أن يقومـــوا بخطبتهـــا لابـــنهم زيـــد، بغـــض النظـــر أن هـــذه الفتـــاة درســـت مـــع زيـــد فـــي المرحلـــة الابتدائيـــة وكـــذلك

الإعداديـــة، وكـــان يحبهـــا لكنـــه لـــم يخبـــر أحدًا بما يشعر به في قلبه، حينها يقول:

-"ســـأكبت وســـأقمع كـــل حبـــي وشـــعوري لتلـــك الفتـــاة حتـــى أكبـــر وأصـــبح قـــادرًا علـــى تحمل المسؤولية ولدي عمل محترم."

إلا أن بالصـــدفة اقترحـــت عليـــه أمـــه هـــذا الخبر غير المتوقع؟

بالنســـبة لزيـــد هـــو مفـــرح لكـــن فـــي الوقـــت نفســـه محـــزن لأنـــه لـــيس بيـــده عمـــل معـــين، قال في نفسه:

-ســـأخطبها وأتـــزوج بهـــا وأظـــل أعمـــل فـــي أي عمـــل مهمـــا كـــان نوعـــه لأجـــل تـــوفير احتياجاتهـــا وتعيش معي حتى أحصل على عمل مستقر.

هـــذا بالإضـــافة إلـــى ذلـــك استشـــارة صـــديقه أحمـــد باعتبـــاره مـــر مـــن نفـــس التجربـــة

وهو شجعه على ذلك، في ذلك اليوم الذي أشرقت شمسه على زيد بالسرور والفرح، جاء هذا اليوم في يوم الثلاثاء، قررت الأم والجدة حيث إنها نابت عن دور الأب كذلك باعتباره كان مسافرًا، وذهب معهم خالد أيضًا لخطبة ليلى لأخيه زيد، كلهم ارتدوا لباسًا جميلًا جدًا ومتميزًا، أما زيد فقد ارتدى قميصًا أسود، قام بشراء الشوكولاتة والورد الأحمر ليكون المظهر معبرًا عن الحب والامتنان والاحترام كذلك، يضاف إلى ذلك لتصوير عليه صورة عصرية ونبذ الأمور التقليدية، عند دخولهم رحّب بهم أهل ليلى؛ أمها حليمة وأبوها حفيظ، جلسوا وقدموا لهم الشاي ثم بدأ الدخول

في الموضوع والحديث إلا أن عائلة الفتاة قامت بطرح مجموعة من الأسئلة لم يدرِ ما الهدف منها وما الغاية.

قال حفيظ لزيد: هل لديك عمل؟ هل أنت مستقر ماديًا؟ إن تزوجت ابنتي أين تسكن أنت وهي؟

أجاب زيد على هذه الأسئلة لكن تم رفضه لكونه لم يقنعهم بإجابته، وأخبره الأب أنه يريد إعطاء ابنته لرجل ذو همة عالية ورجل غني لكي تعيش ابنتي في الثراء والسعادة ونعيش نحن أيضًا معها، خرج زيد وكل أفراد العائلة من منزلهم والحزن الشديد ظاهر على ملامح وجوههم كما أنهم شعروا بالإهانة والاحتقار.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل

الحادي عشر

عنـدما نكبـت حـب الطفولـة، هـل يتحقق إذا قمنا بالبوح به؟

"أحيانًا تأتينا صُدف كأنها وحي، نكون سعداء بها، لكن أحيانًا بعد صدفة تأتينا صدمة الواقع."

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثاني عشر

توالت الأيام والشهور، وصل عيد الأضحى المبارك، جاء الأب سعيد وعمّت الفرحة والسعادة في جميع جدران المنزل وكأن هطول أمطار غزيرة دافئة ومريحة تُداعب كل أفراد العائلة، أتى الأب سعيد وهو يحمل مجموعة من الهدايا المتنوعة باختلافها وأغلبها ملابس العيد.

في صباحه خرج سعيد وأبناؤه خالد وزيد إلى صلاة العيد ومرّت في جو يغمره الاطمئنان والسكينة، كما أنهم قاموا بزيارة الأقارب والأحبة، وما هي إلا لحظات حتى جاءت مكالمة هاتفية من شاب غريب لزيد، أجابه بحكمة وبكل ثقته بنفسه، فسأله عن أحواله إلى غير

ذلك كما أنه كَبُر به، حتى الأخير وقال له صاحب المكالمة الهاتفية الغريبة:

-هل أنت هو الشاب الذي اسمه زيد؟ حيث مؤخرًا ساعدتَ امرأة عجوزًا شيئًا ما في الشارع، وبعد ذلك تركتَ رقم هاتفك إلى زوجها مسعود.

اندهش زيد وظل صامتًا ويفكر؟

حتى تذكّر أنه بالفعل ساعد تلك المرأة التي تعرف عليها من تلك العائلة الثرية.

فأجابه: نعم، أنا الذي ساعدتها.

رد عليه الشاب (صاحب المكالمة الهاتفية): شكرًا لك أخي.

ثم قال له: أريد اللقاء معك في وقت ما إن شاء الله.

كان هذا الشاب اسمه إبراهيم يتحلّى بالأخلاق والقيم الإنسانية، كما أنه لديه

شـــركة خاصـــة بـــه أسّســـها، هـــذا بالإضـــافة إلـــى أنـــه أصـــبح هـــو مـــن ييسّـــر شـــؤون وأعمـــال وخـــدمات شـــركة أبيـــه، كـــان يتصـــدّق ويفعـــل الخيـــر مـــع الفقـــراء والمساكين.

وفـــي أحـــد الأيـــام قـــام بإخبـــار زيـــد بموعـــد اللقـــاء ومكانـــه، فلبّـــى زيـــد النـــداء والتقـــى بـــه فـــي مقهـــى ثـــم هرعـــوا فـــي الحـــديث والنقاشـــات الحياتيـــة وكـــل واحـــد يُقـــدّم للآخـــر نفســـه وعاداتـــه وثقافاتـــه، فجـــأة سأل إبراهيم زيد:

-هل لديك عمل مستقر تعمل فيه؟

أخبـره زيـد أنـه لـيس لـه عمـل محـدد حاليًـا لكنـه يبحـث فـي الشـركات الموجـودة فـي المـدن الكبـرى باعتبارهـا تريـد عـددًا كبيـرًا

من العمال، الشيء الذي جعل إبراهيم يقترح ويعرض عليه فرصة عمل في الشركة معه، عند سماع هذا الخبر، شحب وجه زيد وتغيّر لونه بالفرحة العميقة في أعماق قلبه وكأنه يقول في ذهنه:

-"لقد جاء الفرج بعد جبل عميق من المعاناة والمشاكل التي مررتُ بها."

وافق زيد على العمل مع إبراهيم في الشركة.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثالث عشر

وفي أجواء عيد الأضحى الجميلة الذي لم تمر عليه حتى أسبوع، الكل يعلم أن أجواء عيد الأضحى أجواء لا يمكن شرائها، هي أجواء مليئة بالحب، السكينة والهدوء، أحيانًا هذه المناسبة الروحية والدينية تكون سببًا في الرفع من قيم العفو والتسامح بين الأفراد في المجتمع عامة وداخل العائلات خاصة، إلا أن بعد مجيء زيد إلى المنزل تلك الليلة الذي غاب فيها النوم بالفرحة العميقة والسعادة، باعتباره حصل على عمل شريف، وبأجرة جد مرتفعة مقارنة مع ما يتقاضونه الموظفون في القطاعات الأخرى، أخبر والديه، أمه وأبيه فرحوا له كثيرًا، ازدادت فرحة

العيد على فرحة حصوله على العمل، فأصبحت في نفوس العائلة وأذهانهم فرحة لا يمكن وصفها كما أن زيد تذكر كل النصائح التي كانت الجدة تنصحه بها وكان يفعلها، وفعلاً ازدهرت وابتسمت له الحياة وأصبح يحقق شيئًا فشيئًا من أحلامه، نظر إلى جوانبه، لم يرَ جدته! سأل عنها، أخبروه أنها في بيتها، هرع في اتجاه غرفتها ثم أطرق بابها المرة الأولى ولم يجبه أحد؟ ثم طرق الباب مرة أخرى وتكرر نفس الشيء لا أحد يجيبه أو يخبره بالدخول أو بعدم الدخول

قال بصوت مرتفع شيئًا ما: أنا زيد يا جدتي، هل يمكنني الدخول؟ جدتي أنا زيد، هل يمكنني الدخول؟

انتظر شيئًا ما من الوقت خارج الغرفة ثم فتح الباب ودخل، عند دخوله وجدها تصلي وهي في مرحلة السجود، بعد انتهاء صلاتها رفعت يديها إلى السماء وعيونها كذلك وظلت تدعو في نفسها حتى انتهت، قالت:

-أعتذر حفيدي أن تأخرت عليك في فتح باب الغرفة، أنت ترى كنت في الصلاة.

أجابها: الصلاة، الصلاة، الصلاة هي الأولى، وأنا كذلك في الأخير علمت أنكِ ربما كنتِ تصلين، حفظك الله جدتي، أراك أنكِ أطلتِ في السجود، وبعد انتهاء الصلاة أطلتِ كذلك في الدعاء، ماذا كنتِ تقولين؟

الجـــدة: نعـــم يـــا حفيـــدي أنـــا أصـــبحت أجـــد راحتـــي وســـعادتي فـــي الصـــلاة وخاصـــة حينمـــا أســـجد، أمـــا فـــي شـــأن الـــدعاء فكنـــت أدعـــو لـــك بـــالتوفيق والنجـــاح الـــدائم، وكـــذلك أدعـــو لـــك بتيســـير الأمـــور وأن يرفـــع الله مقامـــك فـــي الـــدنيا والآخـــرة، كمـــا أننـــي قمـــت بالـــدعاء لأخـــوك خالـــد بـــالخير وتيســـير الأمـــور وأن يصـــلح الله لـــه أطفالـــه، إلـــى جانب أن دعائي شمل جميع أفراد العائلة

زيـــد: أطـــال الله فـــي عمـــرك جـــدتي، أتعلمـــين أن دعـــاءك يقـــف معـــي دائمًـــا؟ لـــم أدرِ كيـــف ســـأرد لـــكِ حقـــك؟ حتـــى لـــو فـــديت عمـــري بكاملـــه، لـــن أفـــديك حقـــك، أنـــتِ وأمـــي وكـــذلك أبـــي، ســـتزدهر لـــي الحيـــاة وتتحقـــق أحلامـــي التـــي طالمـــا نويتهـــا وسأضـــعكم

فوق رأسي وأكتافي، في الحقيقة جئت لأنني أريد إخبارك أنني حصلت على عمل شريف ومحترم وبأجرة جد مرتفعة، أتعلمين من هو الشخص الذي بحث عني حتى وجدني وشكرني ثم عرض عليّ العمل معه في الشركة؟ وطبعًا أنا وافقت.

الجدة قائلة: ما هو هذا الشخص؟ جزاه الله خيرًا.

زيد: إن تذكرتِ في ذلك اليوم الذي ذهبنا فيه معًا إلى الحديقة ومرت امرأة عجوز شيئًا ما وأمرتني أن أساعدها، فتلك المرأة الثرية ولدها هو الذي تواصل معي ووجد لي العمل معه، وليس كأي عمل، العمل الذي أعمل فيه ورأسي مرفوع وبكرامتي.

ردت الجدة: يا إلهي! يا إلهي! كم هي صدفة جميلة! ألم أقل لك دائمًا افعل الخير ولا تنتظر المقابل من أحد، أنت فعلت الخير والله جازاك بمثله، حقًا تستحق كل هذا، لقد عانيت مرارًا وتكرارًا لكن الحمد لله على كل حال، فرحت لك كثيرًا وأتمنى لك التوفيق والنجاح في عملك الجديد.

أخذ زيد رأس جدته وقبله، وقبل يدها، بالإضافة إلى ذلك شكرها وقال لها:

-لا تحرميني من دعائك معي جدتي.

خرج من غرفتها وذهب لتناول وجبة العشاء مع أمه وأبيه، كان ذلك العشاء دافئًا وهادئًا وتغمره راحة البال والسعادة حيث إن الابتسامة لا تغادر

وجه زيد ووالديه معًا، حينها قرر الأب بمناسبة حصول ابنه على العمل أن ينظم حفلًا احتفالًا به، وفي الوقت نفسه تكون كأنها صدقة خير.

وما هي إلا لحظات حتى انتهت أجواء العيد والأعراس حيث إن في كل عيد يوجد عدة أعراس في البلاد حتى أصبح وكأن هذه عادات لا يمكن التخلي عنها، حيث من خلالها يجتمع الأهل والأهالي في مناخ بسيط يغمره الاطمئنان والسكينة والسعادة، كما أنهم داخل هذه الأعراس يقومون بتطبيق عدة تقاليد وغالبًا ما يأتي لها أهل الغرب ليرى هذه الأجواء التي يفتقر لها هو في المدينة، ومن ثم تكون له فرصة للتعرف على

ثقافات الشعوب الجنوبية المتنوعة باختلافها، إنهم أصحاب الغرب ليسوا كأي أناس يأتون، أي رجل من القرية إذا أتى إليه أصحاب الغرب إلى حفل زفافه يعتقد في ذهنه ويعتبرها شيئًا كبيرًا وكأنه احتل مكانة عالية، ولأجل التعبير عن فرحه بهم وبمجيئهم يقوم بضيافتهم بحب واحترام، يفعل كل ما بوسعه لفرحهم وإذا حزن أحدهم يصبح هو أكثر حزنًا، وإذا فرح يصبح هو أكثر فرحًا، همه الوحيد هو إسعادهم وتوفير لهم كل ما يريدونه، أحيانًا يأتون ويجدونه في حالة مالية مأزومة عليه ومأساوية لكنه لا يستسلم ويلجأ إلى أخذ شيء من المال من أحد لكي يقوم

بضيافتهم على أحسن وجه، لكن السؤال المطروح هنا:

"ما السبب الذي دفعه إلى فعل كل هذا الشيء رغم أنه أحيانًا يعود عليه بالضرر؟ هل الإنسان الجنوبي هو كذلك؟ يبادله أناس الغرب نفس الإحساس والشعور؟ بغض النظر عن نفس الضيافات؟ ما الشيء الذي غُرس في العائلات الجنوبية هذه التقاليد والعادات رغم أنها أحيانًا تعود عليهم بالضرر من الناحية المعنوية والمالية؟"

انتهت هذه الأجواء وقرر الأب سعيد أن يسافر مرة أخرى للعمل في المدينة لأن الشركة أمرته بالعودة، وكالعادة كل مرة يريد الأب العودة إلى الغرب يظهر

الحـــزن وألـــم الشـــوق علـــى جميـــع أفـــراد العائلـــــة، أحيانًـــا يقولـــون مـــع أنفســـهم لتـــذهب الغـــرب إلـــى الجحـــيم أبعـــدت عنـــا أحبتنـــا، إلا أن هـــذا هـــو الواقـــع لا أحـــد يســـتطيع تغييـــر فيـــه أي شـــيء، ومـــا هـــي إلا لحظات مفاجئة حتى قال زيد لأبيه:

-اجلـــس عـــن العمـــل أنـــت لأنـــك متعـــب، وكـــل يـــوم وكـــل عـــام يمـــر إلا وأنـــت تـــزداد تعبًـــا، اجلـــس فـــي البيـــت هنـــا، وأنـــا فقـــط بعـــض الأيـــام وسأســـافر إلـــى مدينـــة طنجـــة للعمـــل فيها، وأي شيء احتجته سأوفره لك.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل

الرابع عشر

لم يوافق الأب سعيد على الجلوس ومصمم على العودة إلى السفر، وبالفعل لا أحد يستطيع إيقافه، سافر إلى مدينة الدار البيضاء، عند وصوله استقر واستمر في عمله، عندما مرّت ستة أيام جاءت مكالمة هاتفية لزيد من صديقه إبراهيم الذي عرض عليه العمل حيث أخبره بأن غدًا سيأتي ليأخذه معه ويسافرا إلى مدينة طنجة باعتبارها مركز شركته وفيها سيعمل، ازدادت سعادة زيد لأن حلمه بدأ يتحقق، وفي ذلك اليوم الذي بقي له في قريته جمع أغراضه وكل ما سيحتاجه كما أنه ذهب عند أصدقائه القدماء وودعهم، في المساء جاء إبراهيم بسيارته الفاخرة

ليأخذ زيد، عندما وقفت سيارته أمام بيت أهل زيد، كل الجيران ينظرون إليها وإلى جمالها حيث كانت ممتازة ومن الطراز الرفيع، كان لونها كله أسود وهي ضخمة جدًا، مرّ جارهم وابنته التي اسمها ليلى التي كان زيد يحبها من صغره، وعند تقدمه لخطبتها رفضته، وبالخصوص أبوها الذي احتقره بكل أنواع الاحتقار والنقصان، بسبب ماذا؟ لأنه فقير.

وقالت: يا إلهي! يا إلهي! كم هي سيارة جميلة يا أبي؟

لم تتحكم هي وأبوها في اشتياقهم للنظر لتلك السيارة من الداخل ثم اقتربوا منها وظلوا يشاهدونها من النافذة.

بعد مسامحة زيد مع عائلته وتوديعهم له خرج زيد من البيت وذهب ليركب في السيارة، فجأة رأى ابنة جارتهم ليلى وأباها يشاهدون السيارة من نافذتها، لم يشعروا حتى وقف بجانبهم فابتعدوا وركب هو في السيارة وذهب هو ومديره ابراهيم.

اصطدم أب ليلى بما رآه في تلك اللحظة يتمنى لو أن الأرض انشقت وبلعته من هناك، ذهب إلى بيته هو وابنته ولم يصدقا ما رأياه، وبما أخبرهم الناس أن زيد ذهب إلى مدينة طنجة وسيعمل في شركة كبيرة يترأسها أناس أغنياء، طوال النهار وهو لم يأكل أي شيء بفعل الصدمة التي تعرض لها، أخبر امرأته

أن تذهب في المساء إلى أم زيد وتسألها عن أحوال زيد هل وصل بخير، وما طبيعة عمله.

عندما ذهبت الجارة حليمة عند عائشة أم زيد بحجة أن تطمئن عليها، فتحت لها عائشة الباب ورحبت بها بكل حب واحترام وتقدير. أحضرت لها كأسًا من الشاي وجلسوا في جو جيد يتحدثون عن أحوالهم كما العادة، وفجأة وبدون مقدمات وتلميحات سألت حليمة عائشة:

-هل وصل ابنك زيد؟ هل هو بخير؟ هل مستقر في عمله؟

أجابتها عائشة قائلة: نعم، الحمد لله على كل حال هو الآن بخير في صحته وفي عمله، إلى جانب أنه مستقر حالًا

في مدينة طنجة وربما مستقبلاً يغادر المغرب، يمكن أن يذهب إلى الخارج من أجل العمل فيه، أما ابني خالد فهو قرر الاستقرار معي هنا هو وزوجته.

حليمة: حسنًا الحمد لله، أمورك بدأت تسير نحو القمة بعد معاناة استمرت لمدة طويلة، أتمنى من الله أن يوفقه في عمله وفي حياته.

عائشة أم زيد: آمين يا رب العالمين، كل هذا بفضل الله.

رجعت حليمة إلى منزلها خجولة من نفسها ومن تصرفات زوجها الذي كان يحتقرهم وخاصة عندما تقدموا لخطبة ابنتهم، حين وصلت سألها زوجها عن تفاصيل حديثهم، همه الوحيد هو

معلومات عن زيد لكن صُدم بما قالت له زوجته من أخبار جيدة وتدل على وجود مستقبل زاهر وثري لزيد، في تلك اللحظة شعر بالندم عن كل ما كان يفعله معهم وعن كل ما كان يقوله لهم، وخاصة الكلمات والأسئلة التي احتقر بها زيد ونقص من قيمته أمام جميع أفراد العائلتين معًا، في ذلك اليوم الذي تقدم لخطبة ابنته ليلى، لكن في هذه اللحظة الندم لا ينفع، والحياة والدهر يظهران لك حقيقة الناس كما كان نوعها.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل

الخامس عشر

في هذه الحياة القبيحة التي لا ترحم أحدًا سواءً كان صادقًا وجيدًا أو كاذبًا ومنافقًا، أحيانًا وفي هذا العصر الذي نعيشه أصبحنا نرى أن الرجل يكتسب قيمة عالية في أعين الناس وقلوبهم عندما يحصل على عمل شريف ومحترم من حيث المظهر لا يهمهم إن كان المال الذي يجنيه من عمله حلالًا أم حرامًا، وفي السياق ذاته إن لم تتعب نفسك وتتعب جسدك بالعمل والاجتهاد، فلن يرحمك أحد وستُصبح كأنك خنفساء؛ كلٌّ من أتى يطعنك تارة بيده، وتارة أخرى بلسانه، وأحيانًا يضغط عليك بأرجله، وهذا ما يعيشه أغلب الناس في هذا الواقع المؤلم ولا يزالون عاجزين عن

فهم المعنى والحكمة، وأين تتجلّى وأين تتموضع؟

في ذلك اليوم الذي لم يكن كسائر الأيام، يوم مليء بالغدر والذي لن ينساه زيد، جاء بعد استقراره في عمله داخل الشركة، قد يبدو للبعض يومًا عاديًا لكنه في نظر زيد وحشٌ مفترس أو أسد يريد تدمير كل ما بناه بكل تعبه وسهره الليالي لتحقيق أحلامه والوصول إلى القمة، كانت مهمة زيد في الشركة الإشراف على المشاريع، والتنسيق بين الأمور الداخلية والخارجية، وتيسير الشؤون المالية وغيرها، وفي كل صباح كالعادة جاء ضيف بخصوص مشروع تشرف عليه الشركة يهدف إلى ترميم

موقع معين، كان المشروع بعقد قيمته عشرون مليونًا لكن أحد الموظفين ذهب إلى المدير وأخبره أن زيد سرق نصف المبلغ، أي عشرة ملايين ولم يترك للمشروع سوى النصف الآخر، اندهش مدير الشركة إبراهيم، وقال:

-زيد! لا يمكن أن يفعل ذلك مستحيل! أنا أثق به كثيرًا وهو ابن عائلة محترمة.

كان الموظف الذي نقل هذا الاتهام يكره زيد ويضمر له الحقد، وكان يبحث عن أي طريقة لإخراجه من الشركة، ولما لم يجد شيئًا اخترع هذه الكذبة المشؤومة.

كان زيد يحظى بثقة واحترام جميع الموظفين وهو بدوره كان يبادلهم الاحترام لكن عند سماعهم بهذا الخبر

بـــدأت ثقـــتهم تضـــعف بـــل وانعـــدمت لـــدى بعضـــهم، أبلـــغ إبـــراهيم المـــدير العـــام، الشـــرطة دون علـــم زيـــد، كمـــا أنـــه اتصـــل بـــه وطلـــب منـــه الحضـــور إلـــى مكتبـــه، وبينمـــا كـــان يتحـــدث معـــه وصـــلت الشـــرطة وبـــدأ التحقيـــق معـــه فـــورًا، عـــادت الشـــرطة إلـــى تســـجيلات كـــاميرات المراقبـــة القديمـــة لكنهـــا لـــم تجـــد شـــيئًا يُثبـــت التهمـــة بـــل إن بعـــض المقـــاطع كانـــت محذوفـــة، وهـــذا مـــا جعـــل الشـــرطة ومعهـــم إبـــراهيم يظنـــون أن زيـــد هـــو مـــن تعمّـــد إخفـــاء الأدلـــة، فتأكـــدوا مـــن شـــكوكهم وأخـــذوه إلـــى مركـــز الشـــرطة، طوال الطريق كان زيد يقول:

-والله ما سرقت، لم أسرق، أنتم تظلمونني.

مـرّت ثلاثـة أيـام وزيـد لا يـزال فـي السـجن ريثمـا تتأكـد الشـرطة مـن الحقيقـة هـل هـو سارق فعلًا؟ أم ضحية افتراء وكذب؟

اسـتمر التحقيـق دون نتـائج تُـدين زيـد، كـان يشـعر بـالحزن والوحـدة لأنـه يعلـم جيدًا أنه لم يسرق شيئًا.

فـي الحقيقـة الموظـف الحاقـد هـو مـن سـرق المبلـغ، وبسـبب غيرتـه مـن زيـد اتّهمـه بـذلك بـل وأجبـر حـارس الكـاميرات علـى حـذف المقـاطع التـي قـد تُثبـت براءتـه مقابـل رشـوة ماليـة، ومـع تعقّـد الأمـور وازديـاد الضـغط، بـدأ الضـمير يوقظـه وأصـبحت الكـوابيس تلاحقـه كـل ليلـة، وبعـد صـراع داخلـي طويـل قـرر قـول الحقيقـة، فـذهب إلـى الشـرطة وصـرّح بكـل

شـــيء وقـــدم المقـــاطع المحذوفـــة التـــي تُظهـــره وهـــو يســـرق وتُظهـــر تـــورّط الحـــارس أيضًـــا، ألقـــت الشـــرطة القـــبض عليـــه وعلـــى الحـــارس المتـــورط وتـــم إيداعهما السجن.

فمـــا الـــذي دفعـــه لكـــل هـــذا الأذى بحـــق زيـــد، رغم أن زيد لم يؤذه قط؟

الســـبب ببســـاطة أنـــه كـــان يحســـده علـــى مكانتـــه الرفيعـــة داخـــل الشـــركة وعلـــى محبـــة الجميـــع لـــه، فاســـتغل موقفـــه واتهمـــه ظلمًـــا محـــاولًا الانتقـــام منـــه وســـرقة المـــال دون أن يُكشـــف لكنـــه فشـــل وكـــان مصـــيره السجن.

خـــرج زيـــد مـــن الســـجن وطلـــب منـــه المـــدير إبـــراهيم العـــودة إلـــى عملـــه واعتـــذر لـــه عمّـــا

حـــدث، وعنـــد عودتـــه اســـتقبله الـــزملاء بمحبـــة، وعـــاد كـــل شـــيء إلـــى مـــا كـــان عليـــه كأن شيئًا لم يحدث.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل

السادس عشر

رغم أن زيد دخل السجن ظلمًا وخرج بعد التأكد من براءته، اعتقد جميع الموظفين في الشركة أنه من المستحيل أن يستعيد مكانته الرفيعة في نظر المدير العام ولا حتى داخل الشركة حيث أصبحوا غير قادرين على منحه ثقتهم الأولى، لكن إبراهيم المدير العام للشركة زادت ثقته بزيد وأصبح لا يشكّ فيه أبدًا بل إنه بدأ يُوكِل إليه مهامَّ كبيرةً ومهمة لم يسبق لأحد منذ تأسيس الشركة أن وصل إلى تلك المرتبة الرفيعة، وبما أن زيد كان معروفًا بصدقه وأمانته، فإن ما حصل له وخروجه ببراءة، جعلا إبراهيم يوقن تمامًا أنه رجل صادق ويمكن الاعتماد عليه والثقة به، كل هذه

العوامل دفعت إبراهيم إلى تعيينه نائبًا له في الشركة ومسؤولًا عن إدارتها في غيابه، ولأن إبراهيم كان أحيانًا يغادر البلاد ولضمان سير العمل بطريقة منظمة، قام بتعيين زيد نائبًا عنه.

فرح زيد بهذه المكانة الرفيعة التي بلغها وتذكّر كلمات جدّته ونصائحها التي طالما أوصته باتباعها، وها هي أحلامه تتحقق أمام عينيه، وفي الوقت نفسه أدرك أنه بات يتحمّل مسؤولياتٍ كبيرةً جدًا لكنه لم يستسلم وواصل العمل بجدية وبنية صادقة.

وبعد مرور ثلاث سنوات أصبح زيد من الأثرياء ومن المنتمين إلى الطبقة البرجوازية، واشترى سيارة فخمة

ضخمة لونها أبيض وجميلة للغاية، إلى جانب ذلك اشترى منزلًا كبيرًا في مدينة طنجة، وكان المنزل مميزًا للغاية جهّزه بالأثاث والديكورات العصرية الحديثة مما أضفى عليه جمالًا فريدًا وطابعًا خاصًا به، أخبر والديه بشرائه للسيارة والمنزل ففرحا كثيرًا، وكانت أمه من شدة الفرح قد خرجت وأخبرت الجيران ودموع السعادة تملأ عينيها.

ومرّت الحياة كأن شيئًا لم يحدث حتى حلّ عيد الفطر، فاستأذن زيد من عمله وأخذ عطلة لمدة أسبوع وتوجّه نحو بلدته الحبيبة وعائلته القاطنة بها، وعند وصوله ازدادت الفرحة فرحتين وتمت أجواء العيد بخير وسلام، وفي كل مساء

كان يخرج هو وأمه وجدته وأبوه بسيارته إلى الحدائق ويستمتعون بجمالها وهواءها

بعد تجوّلهم في الخارج عاد زيد مع أمه وجدته إلى المنزل حيث أخذ قسطًا من الراحة، وما هي إلا لحظات حتى رأى أخاه خالد جالسًا بمفرده خارج البيت، فتوجه إليه وجلس بجانبه.

قال زيد: كيف حالك أخي؟ هل أنت بخير؟ كيف تسير أمورك؟

خالد: الحمد لله بخير، شكرًا لك، وأنت كيف حالك؟

زيد: بخير الحمد لله، ما رأيك أن أتوسط لك عند المدير إبراهيم ليجد لك عملًا في الشركة؟ أنت من خلال أفكارك ومستواك الدراسي تستحق الأفضل من هذا، إن

كنت تريد فقط أخبرني والباقي أتركه عليّ.

خالد نظر إلى زيد بنظرات مختلفة مليئة بالحزن والندم:

-هل أنت من سيبحث لي عن عمل؟ لا، لا يمكن، لا أستطيع أن أقبل بهذا، أنت الآن يجب أن تكون سعيدًا لأنك حصلت على ضعفي بسبب عدم توفري على العمل لكي تحتقرني وتُنقص من قدري! لقد نجحت في ذلك، افتخر بنفسك! أنا لا أريد شيئًا، فقط اتركني بمفردي، لن يقبلني أحد بعد الآن، هل تظن أن صاحب الشركة غبي ليجعلني أعمل معه والجميع يعلم أنني أُدمن الخمر وأتعاطى

المخـــدرات بكـــل أنواعهـــا؟ لقـــد انتهيـــت، انتهيت، دمّرت نفسي بيدي، بيدي.

زيـــد: مـــاذا؟! هـــل عـــدت لشـــرب الخمـــر وتعـــاطي المخـــدرات؟ لمـــاذا أخـــي؟ لا تقلـــق أخـــي لـــن أنســـاك، وكـــل هـــذه الصـــعاب والمحـــن ســـأقف معـــك لتتجاوزهـــا وتنتصـــر عليهـــا، ورغـــم كـــل مـــا حصـــل ســـأجد لـــك عمـــلًا فـــي الشـــركة، أتظـــن أننـــي ســـأتركك وحـــدك؟! نحـــن مـــن دمٍ واحـــد، أنـــت مـــن كنـــت تقـــول لـــي فـــي صـــغري يجـــب علـــى الإنســـان أن يكـــون قويًّـــا وألا يهزمـــه ضـــعفه ولا المحـــن، أنـــت الـــذي كنـــت لـــي أســـدًا حـــين أرادت الـــذئاب افتراســـي، أنـــت الـــذي كنـــت رفيـــق دربـــي فـــي الطفولـــة لهـــذا اعلـــم أننـــي لـــن أتخلـــى عنـــك فـــي منتصـــف الطريـــق،

وكل شيء سيتحسن فقط ثق بي، ثق بي أخي.

خالد: انتهى كل شيء انتهى، اتركني وحدي وابتعد عني.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل

السابع عشر

أحيانًا ليس كل ما يتعب عليه الإنسان يجني في النهاية ثماره، يتعب ثم يتعب ثم يتعب من أجل حلم معيّن، إلا أن الحياة والدهر قد يغيران كل مسارات حياته أحيانًا، وهذا هو مسار وواقع مريم التي أنهت رحلتها الدراسية في الثانوية وتخرّجت من الجامعة، ففرحت كثيرًا لأن ذلك جاء بعد معاناة كبيرة، لولا أخوها زيد الذي ضحّى بنفسه وأقنع والده سعيد بأن يتركها تواصل دراستها لما وصلت إلى هذه المرحلة، كان أخوها داعمًا لها في جميع الأوقات، وكل شيء أرادته ضحّى بكل ما يملك من أجله كي تكون هي سعيدة ولا ينقصها شيء، كانت تعتبره ليس مجرد أخ بل أباها

الثـــاني، أقامـــت العائلـــة حفـــلاً مميـــزًا للاحتفـــال بـــابنتهم مـــريم حضـــره جميـــع أفراد حيّهم ومرّت الأجواء بخير وسلام.

عقـب انتهـاء هـذه الاحتفـالات كلّـف إبـراهيم زيـد بـأن يسـافر إلـى إحـدى الـدول فـي الخـارج مـن أجـل قضـاء وتوقيـع عقـد عمـل نيابـةً عنـه، سـافر زيـد وتـم توقيـع عقـد العمـل فـي أجـواء جيـدة وأخبـر إبـراهيم بـذلك، بعـد الانتهـاء مـن العمـل قـرر زيـد أن يأخـذ رحلـة لاستكشـاف جمـال دول الخـارج، فانـدهش بجمالهـا وأشـجارها العميقـة والمتنوعـة كمـا أعجـب ببنيانهـا ومعمارهـا المتميّـز، لـم يقتصـر الأمـر علـى ذلـك بـل تعـرّف علـى أصـدقاء جـدد وعلـى ثقافـاتهم وتقاليـدهم، وكـان يتحـدث مـع أمـه

ليطمئن عليها وأخبرها أنه خلال ثلاثة أيام سيعود إلى المغرب الحبيب، كما أنه تحدث مع أبيه وأخبره بذلك، وكان والده سعيدًا مقيمًا في مدينة الدار البيضاء باعتباره يعمل هناك.

هذا بالإضافة إلى أن خالد هو الوحيد الذي ظل في البلاد حيث تأزمت أحواله وعاد إلى شرب الخمر وتناول المخدرات سرًّا، حذّره والداه مرارًا لكن دون جدوى ولا نتيجة، في أحد الأيام خرج من المنزل ولم يعد طوال النهار فقلقت عليه أمه عائشة وزوجته لحين تأخّره وعدم سماع أي خبر عنه، كان ذلك اليوم في فصل الشتاء وكانت الليلة باردة، وبعد انتظار طويل جدًّا ذهبت أمه

عائشة إلى النوم لأنها كانت تعاني من مرض مزمن ولم تستطع مواصلة الانتظار، وما هي إلا لحظات حتى اقترب الفجر فجاء خالد يطرق باب المنزل وهو في حالة سكر واضحة، ومن مظهره بدا أنه ليس في وعيه، فتحت له زوجته الباب وعندما رأته في تلك الحالة غضبت ودخلت معه في نقاشات وصراعات مما أدّى إلى فقدانه السيطرة وضربها حتى سقطت على الأرض، ولولا تدخل أمه عائشة لربما كان قد وضع حدًا لحياتها، ثم خرج وظل خارج المنزل بمفرده حتى أشرقت عليه شمس الصباح، عاد ليعتذر من أمه وزوجته على ما فعله معتبرًا أنه لم يكن في وعيه

لكن زوجته لم تستطع الصبر على هذه الحالة المأساوية، فطلبت منه الطلاق بعد أن ضُربت، ذهبت إلى بيت أبيها وأخبرته بكل ما يحدث لها وكل المعاناة التي تمر بها، غضب أبوها وأمرها برفع دعوى الطلاق ووقف إلى جانبها، وعندما سمعت عائشة بذلك قالت لها:

-إن لم يحترمك ويقدّرك، فالأفضل أن تبتعدي عنه، رغم أنه ابني، ابتعدي عنه من أجل مصلحتك، فهو لن يترك الخمر وتناول المخدرات بعد الآن، ولا قدّر الله إذا شرب الخمر وفقد وعيه مجددًا وجاء ليفعل بك شيئًا أو ضربك مرة أخرى وتسبب في موتك، فماذا سنقول لأهلك؟ هل سنقول لهم إن زوجها قتلها؟

علم جميع الجيران بما وقع في تلك الليلة وبالحالة التي وصلت إليها الأمور، خاصة أنهم لاحظوا أن الأب سعيد قد سافر ولم يعد له أثر ولم يسأل عن أحوال أسرته، اتصل به أحد أصدقائه القدامى وأخبره بكل ما حدث، حزن سعيد حزنًا شديدًا لأنه لم يعلمه أحد حتى زوجته عائشة، فاتصل بها وقال لها:

-ماذا وقع بين خالد وزوجته؟ لماذا لم تخبريني بما حدث؟

فأجابته عائشة: إن خالد فقد السيطرة على أفعاله القبيحة وأصبح لا يحترم أحدًا، يفعل ما يشاء، في ليلة البارحة كاد أن يقتل زوجته، أتعلم ما السبب؟ هو شربه للخمر وتناوله المخدرات حتى فقد

وعيه تمامًا ولم يعُد يفرّق بين ما يفعل وما يقول، ولهذا فهما الآن في طريقهما إلى الطلاق.

وعند سماع سعيد لهذا الكلام وهذه الأفعال المحزنة قال:

-أتعلمين ما هي خطورة الطلاق؟ أتريدين تفكيك أسرتهما؟ إن تم الطلاق أتعلمين من سيتشرّد ومن سيتدمّر؟ بالطبع لا، هل فكّرتِ في أطفالهما قبل أن تقولي كلمة الطلاق؟ طبعًا لا ولن تفكّري.

أخذ سعيد هاتفه واتصل بوالد زوجة خالد وتحدّث معه بعقلانية واعتذر منه كثيرًا عمّا حدث، ثم أمر ابنه خالد أن يذهب ويعتذر منهم ومن زوجته كذلك،

وبفعل تدخّل سعيد تم إلغاء قرار الطلاق وعادت الأمور إلى مكانها.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل

الثامن عشر

بعد عناء طويل ومريم تقدّم ملفها الخاص بها الذي توجد به جميع معلوماتها إلى الشركات المختلفة لكن دائمًا يتم رفضها لأسباب مجهولة رغم أنها تتميز بجميع الشروط، حتى يئست وأصبحت ترسخ في ذهنها أن كل أحلامها لن تتحقق، لأن تحقيقها يرتكز على توفّرها على عمل، أخبرها أخوها زيد أن لا تقلق حتى لو لم تحصل على عمل فإنها لن تفتقر إلى أي شيء وسيوفر لها كل ما تريده، إلا أن مريم رفضت تلك الفكرة رفضًا تامًا لأنها مصممة على العمل.

وما هي إلا أيام حتى أشرقت شمس النور وتم قبول مريم في عمل داخل

وكالـــة تجاريـــة، فرحـــت مـــريم فرحًـــا شـــديدًا باعتبارهـــا حصـــلت علـــى عمـــل شـــريف ولـــم تـــذهب جهودهـــا وعلمهـــا هبـــاءً منثـــورًا، فرحـــت كثيـــرًا حتـــى دمعـــت عينهـــا وأخبـــرت جميـــع أصـــدقائها الـــذين وقفـــوا بجانبهـــا دائمًا.

بـــدأت مـــريم بـــأول يـــوم فـــي عملهـــا، تمـــت الأحـــوال بخيـــر كمـــا أن مـــريم أُعجبـــت بعملهـــا وأصـــبحت تحبـــه وتتقنـــه إلا أنهـــا كانـــت تواجـــه عـــدة مشـــاكل داخـــل جـــو عملهـــا مثـــل التـــوتر وبُعـــد مكـــان العمـــل عـــن المنـــزل، فـــي كـــل صـــباح كانـــت مـــريم تقطـــع طريقًـــا طـــويلًا لأجـــل العمـــل، وهـــذا الشـــيء خلـــق لمـــريم اضـــطرابات وضـــغوطات نفســـية إلـــى جانـــب ذلـــك أصـــبحت رؤيـــة المجتمـــع لهـــا

مختلفة وفيها شيء من الاحتقار وعدم تقدير الذات وكل هذا بسبب ذهابها في الطريق البعيد بمفردها، وكل من حولها يُحذّرها من تلك الطريق لأنها غير جيدة، لكن بعد مرور وقت طويل من العمل استطاعت واشترت دراجة نارية لكي تذهب بها إلى العمل، كانت هذه الدراجة النارية جميلة وفخمة حيث كان لونها أسود بالإضافة إلى ذلك فإنها ساهمت في مساعدة مريم وتوفير وقت للراحة لها، عندما ركبت مريم على الدراجة النارية، شعرت وكأنها تُحلّق في السماء وغيومها وأصبحت سعيدة جدًا كما أنها وجدت راحة لا يمكن وصفها، راحة من المعاناة ومشاكل الطريق الذي كانت تمر

بـــه كـــل يـــوم فـــي الســـابق، مـــرّ الـــدهر بجريانـــه المتقلّـــب والمتغيّـــر ومـــا هـــي إلا لحظـــات حتـــى رأى رجـــلٌ مـــريم فـــي ذهابهـــا إلـــى العمـــل، فأُعجـــب بهـــا وبأخلاقهـــا وتعاملهـــا الجيـــد كمـــا أن أكثـــر شـــيء أعجبـــه هـــو حياؤهـــا وعفّتهـــا، فبـــادر إلـــى التقـــدّم لخطبتهـــا مـــن والـــديها، وبمـــا أن تلـــك الفتـــرة كانـــت توافـــق عيـــد الأضـــحى وكانـــت العائلـــة كلهـــا مجتمعـــة، قـــرر الـــذهاب وطـــرق بـــاب دارهـــم طالبًـــا الـــزواج مـــن مـــريم زواجًـــا حـــلالًا طيبًـــا، عنـــد مجيئـــه هـــو وأمّـــه وأبيـــه رحّـــب بهـــم ســـعيد وزوجتـــه وكـــذلك زيـــد، عـــلاوة علـــى ذلـــك قـــدّموا لهـــم كأسًـــا مـــن الشـــاي وتمـــت أجـــواء الخطبـــة بأجوائهـــا الطبيعيـــة والجميلـــة والمتميّـــزة، وقبـــل

موافقة سعيد والد مريم على الزواج، سأله الشاب سؤالين وأمره أن يجيب بما هو حقيقي وواقعي.

سأله: هل أنت تُصلي؟ هل أخلاقك جيدة؟

الشاب: نعم الحمد لله أُصلّي صلواتي في وقتها ونسأل الله التوفيق والثبات، كما أن أخلاقي جيدة، وإذا أردت اسأل عني وما يُقال لك هو الصواب.

سعيد: حسنًا حسنًا، أنا نصيحتي لك هي أن تهتم بابنتي مريم وتحترمها وتُقدّرها وتجعلها فوق رأسك.

الشاب: حسنًا فلتطمئن، سأجعلها في عيني وفوق رأسي.

وبعد كل هذه النقاشات المهمة تمّت موافقة الأب على الخطبة وزواج ابنته

بـــذلك الشـــاب، كـــان اســـم ذلـــك الشـــاب يوســـف حيـــث أخلاقـــه وقيمـــه الإنســـانية جيـــدة كمـــا أنـــه متـــوفّر علـــى عمـــل محتـــرم وهو من عائلة غنيّة شيئًا ما.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل

التاسع عشر

عندما اقترب حفل زفاف مريم، أمرت عائشة زيد بأن يخطب هو كذلك من أجل أن يقيموا حفل زفاف واحد، فذهب هو ووالداه وخطب فتاة وتزوج بها حيث أُقيم حفل زفافهم في يوم واحد واستمرت الأيام في سعادة وطمأنينة، وبما أن زيد يعمل في مدينة طنجة وله منزل كبير فيها قرر الرحيل إليها والاستقرار هناك، لم يذهب هو وزوجته فقط بل أقنع جميع أفراد العائلة كاملة بالذهاب معهم والعيش في طنجة، عندما ذهبت أم زيد وجدته أُعجبوا بمدينة طنجة ومناخها وأجوائها إلا أن الجدة كانت تعاني من بعض الأمراض المزمنة، وكانت تذهب كل يوم إلى المستشفى للعلاج ولكن دون

نتيجة، لم يترك زيد أي طبيب ماهر إلا واستشاره وأتى بها إليه، ومرة أخرى لم توجد أي نتيجة إيجابية بل تأزم حالها أكثر، فبعد معاناة طويلة قرر زيد أن يأخذ جدته إلى دولة فرنسا لأجل أخذ العلاج، حينما وصلوا هرع بسرعة إلى أحد الأطباء المعروفين بمصداقيتهم وخبرتهم القديمة في ذلك المجال لكن بعد عناء طويل في مواجهة المرض بمشاكله وتحدياته جاءها الأجل المحتوم وتوفيت، حزن زيد حتى دمعت عيناه وأخبر جميع أفراد العائلة فحزنوا حزنًا شديدًا، هذا بالإضافة إلى أنه بعد إجراء الإجراءات اللازمة، عاد زيد إلى المغرب

وهـو يحمـل جثمـان جدتـه وذهبـوا بهـا إلـى أقرب مقبرة في مدينة طنجة وثم دفنها.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل العشرون

بعد أن كانت الأخوّة يجمع بينها المحبة والتعاون والتضامن، أصبحت الأخوّة كلها مصالح، كلها ماديّات، في هذا الزمن الذي لا نعرف فيه ما الحقيقة وما الباطن، وما الأخوّة الحقيقية وما الأخوّة التي تنتظر فقط وفاة الوالدين لتعلن الحرب على إخوانها وأخواتها الضعفاء، هل هذه هي الأخلاق؟ هل هذه هي التضحية من أجل إخوانك وأخواتك خاصة؟ هل هذا هو العدل؟ ألا تعلم ما معنى ظلم أختك التي ليس لها من يدافع عنها، أصبحت يتيمة، هل تعتقد أنك ستخرج من هذه الدنيا الفانية بخير؟

في يوم من الأيام وبعد وفاة الجدة فاطمة وبما أن العائلة كلها استقرت في مدينة

طنجة سواه هو، ظلّ في عمله في مدينة الدار البيضاء، قرر سعيد أن يعرض بيتهم القديم للبيع، حينها كان ذلك المنزل له هو وأخته خديجة التي كانت تسكن في مدينة الجديدة باعتبار أن ذلك المنزل تركه الأجداد لهم، لكن سعيد قام بتعديل أوراق المنزل ووضعه باسمه دون إخبارها بذلك، فقط في ذلك اليوم الذي كان يريد توقيع العقد، أخذ بطاقتها الوطنية ولم تأتِ معه لأنها في ذلك الوقت كانت مشغولة بشيء ما، يُضاف إلى ذلك أنها كانت تضع ثقتها فيه، فلم تهتم وكلفته بكل شيء، إلا أنه يوم توقيع عقد المنزل، أخفى بطاقتها وجعل المنزل باسمه فقط، وكل شيء بقي عنده

من القديم: جميع وثائق المنزل احتفظ بها وهي لم ترَهم ولم تعلم أن كل شيء أصبح باسمه، وبما أن المنزل أصبح باسمه، قام بعرضه للبيع وخلال أسبوع تم بيعه، وهذا الشيء مكّن سعيد من شراء منزل في مدينة الدار البيضاء والخروج من المنازل المؤجّرة ومعاناتها ومشاكلها، ولم يقتصر سعيد على شراء منزل واحد فقط بل بفعل دعم ابنه زيد له وبفضل عمله الجيد الذي أخرجه من حالة الفقر إلى حاله الأثرياء، اشترى منزلًا آخر بمواصفات عصرية وحديثة، كان ذلك المنزل جميلًا جدًا، جدرانه ملوّنة بألوان مختلفة وجميلة، أما من الداخل فهي جميلة جدًا كلها محمّلة

بالأثـــاث والـــديكورات العصـــرية، أســـقفها كلهـــا ملوّنـــة بلـــون الأبـــيض كمـــا أنهـــا تحتـــوي علـــى ديكـــورات جـــبس حديثـــة ممـــا أضـــفى عليهـــا جماليـــة فريـــدة وخاصـــة بهـــا، وكـــل هـــذا لأن ســـعيد منـــذ ســـفره تـــزوّج بـــامرأتين؛ الأولـــى تـــزوّج بهـــا بعـــد ســـفره بســـنتين، أمـــا الثانيـــة فتـــزوّج بهـــا بعـــد مـــرور خمـــس ســـنوات، بغـــضّ النظـــر عـــن زوجتـــه الأولـــى عائشـــة التـــي ظلّـــت فـــي الباديـــة وهـــي أم زيـــد وخالـــد ومـــريم، ولا أحـــد يعلـــم بأنـــه تـــزوّج امـــرأتين حتـــى أبنـــاؤه باســـتثناء زوجتـــه التـــي كانـــت تعلـــم بزواجـــه مـــن امـــرأة واحـــدة ورضـــيت بـــذلك لكنـــه فـــي الواقـــع تـــزوّج بـــامرأة أخـــرى مـــن دون علمهـــا، اســـتغلّ ســـعيد أُختـــه لأنهـــا لـــم تكـــن قارئـــة،

حتى الوثائق البسيطة لم تكن قادرة على قراءتها، فاعتبر سعيد ضعفها في العلم بهذه الأمور فرصة لينصُب عليها ويجعل المنزل باسمه وكذلك بعض الأراضي الزراعية، وحدث كل هذا بشكل قانوني مستغلًا افتقارها للقراءة والمعرفة، فقد جاء إليها في الماضي وأخبرها أن توقّع له فقط على استغلال المنزل لكنها في الواقع وقّعت له على التنازل عن حقها فيه دون أن تدري، ومع مرور الزمن وبعدما أتعبت خديجة أجواء المدن وضجيجها، قررت أن تعود إلى حقّها في المنزل وتسكن فيه لكن الحقيقة المؤلمة أنها عند مجيئها وجدت أن المنزل قد بيع بالفعل.

جاءت خديجة لتفتح الباب، فوجدت أن المنزل فارغ ومغلق بقفلٍ آخر، سألت الجيران فأخبروها أن المنزل قد بيع، وأن سعيدًا وأبناءه سافروا منذ سنتين، شعرت خديجة وكأن الدنيا ضربتها ضربتين: الأولى ضربة الثقة، والثانية ضربة التشرد الذي أصبحت عليه.

لم تجد خديجة أحدًا تجلس عنده، فتوجّهت إلى إحدى صديقاتها القديمة، إنّ ما وقع لخديجة لم يكن فقط حرمانها من المنزل بل من ذكرياتها فيه مع والدتها: ذكريات الطفولة والحب، والمعاناة، والسعادة.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الحادي والعشرون

إن الثقة قد تكون ثقة جيدة تقربك من الأحباب وبها ترقى مراتب الحب، وأحيانًا قد تكون ثقة لعنة مأساوية على صاحبها في الآخر، كما أن الافتقار إلى القراءة والعلم قد يؤدي بالإنسان إلى الهلاك بشتى أنواعه، وكما أن العلم نور فإن الجهل طريق الاستغلال من طرف الآخرين دون رحمة، ظنت خديجة أن ثقتها بأخيها ستمنحها القوة في مواجهة الزمن باعتبارها امرأة لا تعرف الدهر جيدًا فإن ثقتها قد وضعت في غير موضعها وأصبحت لعنة عليها، كما أن كثرة المدح فيمن لا يستحقه قد يتغير إلى دم، لكن خديجة لم تستسلم لما حدث لها ولواقعها القاسي بل رفعت ملامح

المحبة والأخوة على وجهها وأظهرت ملامح وعلامات الانتقام رغم أن الحزن وآثار الخذلان أثر عليها، اتصلت خديجة بأخيها سعيد لكي تتأكد من صحة الموضوع وأخبرته أنها جاءت إلى منزلهم السابق لكن وجدته مقفلاً وأخبروها الجيران أنه قد بيع، هل هذا صحيح؟

سعيد: نعم، نعم، صحيح، لقد قمت ببيعه واشتريت منزلاً آخر هنا في مدينة الدار البيضاء، وماذا تريدين أنتِ أن تفعلي هناك؟

خديجة: لماذا فعلت كل هذا ولم تخبرني، وأنا لدي أيضاً نصيب في ذلك المنزل؟ أنت لم تقم ببيع المنزل فقط، أنت بعت ثقتي بك، ذكرياتي، وطفولتي، كل شيء،

ألم أقل لك أن تترك لي حقي لأنني في يوم من الأيام سأعود إليه؟ أنت خنتني وخدعتني وخنت ثقتي بك، لكن ماذا عني أنا الآن؟ أين حقوقي في الإرث؟ حتى لو اشتريت منزلاً هناك، يجب أن تعلم أن لي حقوقاً في الإرث فيه، وأنا بحاجة حالاً إلى حقوقي ونصيبي في ذلك المنزل لأنني لم أعد أحتمل منازل الإيجار وارتفاع غلائها.

سعيد: اسمعيني جيداً وركزي فيما سأقوله لك الآن، إن هذا المنزل هو منزلي أنا وباسمي فقط، أما أنتِ فليس لك حق فيه وقُضي الأمر.

خديجة: ماذا؟ ماذا تقول؟ ماذا تقول لم أسمعك جيداً؟ ثم انقطع الاتصال معها ولم يجبها.

حزنت خديجة حزناً ليس مثله حزن، حزن الخذلان من أقرب الناس إليها، حزن الثقة، حزن التشرد الذي أصبحت عليه الآن، لم تستطع الصبر فسقطت في الشارع أمام الناس على ركبتيها وهي في حالة متأزمة جداً، الدموع لم تملأ عينيها فقط بل ملأت الشارع وكأنها أنهار، فكّرت خديجة كثيراً فيما يجب فعله، لا معين لها، لا من يقف بجانبها سوى صديقتها التي ليست من دمها ولا من أصلها، هي فقط من وقفت بجانبها وكانت لها أختاً وأخاً أكبر كما أنها دعمتها وغرست فيها القوة من جديد من أجل مواجهة أخيها والمطالبة بحقوقها في الإرث الذي أصبح وكأنه

لعنة عليها، ذهبت خديجة إلى سعيد ووقفت أمامه ليس كوقوفها الذي كان يغلب عليه الخجل والحياء بل وقفت بشجاعة وقالت بصوت مرتفع:

-أتعلم من أنا؟ أنا أختك التي احتقرتها واستغللت ثقتها، أنا أختك التي وقفت معك في محنك عندما كنت تعاني من فقرك الحاد، لكن من اليوم لم أعد أختك بعد الآن، جعلتني أعيش حياةً لم أتوقع أن أعيشها في يومٍ من الأيام، وبعد كل هذه السنين التي كنت تخطط فيها لخداعي والنصب عليّ، وها أنت قد نجحت في ذلك كما أنك نجحت في التمثيل خلال هذه السنوات، لكن الزمن كشف وجهك الحقيقي، ذاك الذي كنت

تخفيه عنا، اسمعني جيداً ستمنحني حقي في الإرث داخل هذا المنزل بالرضا أم أنني سأخذه بالقانون.

صمت سعيد قليلاً وظل ينظر إلى وجه أخته المشحون بالقلق والغضب، في حياته كلها لم يرها في هذه الحالة إلا أنه جعل الصمت سلاحه وكأنه فعل ما يجب فعله وكان على حق.

خديجة: لماذا أنت صامت كأن الدهر ابتلع لسانك من فمك؟

سعيد: المنزل هو منزلي، وكل شيء يظهر في الوثائق والأوراق وهما يثبتان ذلك، أضيفي إلى ذلك اخرجي من منزلي الآن وافعلي ما شئتِ، كل ما بوسعك فعله.

خديجة: سترَ ما سأفعل، لن أتركك ترتاح في حياتك، كما أنني سأخذ حقي بالرضا أو بالقوة، وإذا كنت تملك وثائق وأوراقاً تثبت ذلك، فإنني أملك شهوداً سيشهدون بأننا نملك المنزل معاً.

سعيد: اخرجي من منزلي ولا تعودي، وافعلي ما تريدين فعله فالمنزل منزلي، وبالإضافة إلى ذلك كما اشتريت المنزل يمكنني شراء شهودك.

خديجة: أنت لست أخي، لست أخي! لقد فقدت أخلاقك وقيمك وضميرك، كيف وصلت إلى هذه الأزمة الأخلاقية؟

غضب سعيد وأصبح يمسك رأسه بشدة ووجهه أحمر ثم يردد:

-اخرجي من بيتي، اخرجي!

في المقابل كانت خديجة تردد: لن أخرج منه.

وقالت: أنت اكتسبت المال والممتلكات، وفقدت أصلك وقيمك واحترامك، أنت أناني!

ولم يشعر سعيد حتى رفع يده إلى الأعلى يريد ضرب أخته خديجة لكن خالد جاء وأمسك يده وأوقفه وقال:

-لا تفعل يا أبي، لا تفعل.

خديجة قائلة: أتريد ضربي؟! ألم يكفك النصب عليّ في حقوق الإرث في المنزل؟ إن سامحك الناس، فلن أسامحك على كل ما فعلت.

خرجت خديجة من المنزل وتوجهت إلى أحد جيرانهم القدماء في البلاد ليرافقوها ويشهدوا أن المنزل كان مشتركًا في الإرث بينها وبين سعيد، علاوة على ذلك

كانت ترغب في جمع مجموعة من الأدلة لتثبت ذلك باعتبارها لا تملك أي دليل وكل شيء أصبح باسمه إلا أن الحقيقة المؤلمة أن جميع الجيران وأصدقاء أبيها القدماء الذين كانوا يعرفون كل شيء على حقيقته، شهدوا ضدها وقالوا إن المنزل منزل سعيد فقط.

قالت خديجة: كيف ذلك؟ هل هذه هي الشهادة بالعدل؟ هل هذه هي صداقة أبي؟ هل هذه هي وصيته؟

حزنت خديجة حتى دمعت عيناها ثم رجعت إلى إحدى صديقاتها واستقرت عندها بعد فشلها في الدفاع عن حقوقها وأخذها، رغم محاولتها البحث عن أدلة تثبت أن لها حقًا في الإرث، وكل شيء

الآن أصبح باسم سعيد بشكل دقيق، لكن السؤال المطروح:

إذا خذلها واستغل عدم قراءتها، وعدم علمها بهذه الأمور كما أنه استغل ثقتها، فكيف اشترى الأدلة الشفوية القديمة التي كانت تعرف كل شيء؟

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثاني والعشرون

كانت خديجة تنظر إلى سعيد بنظرات الحب وأحيانًا تُعمي نفسها وبصيرتها عن كل ما يُقلقها كي لا يتشوه ذلك الجمال الذي نسجته له في قلبها، لكن ها هو اليوم، الوجه الآخر يتجلّى أمامها، وجهٌ حقيقي، قاسٍ، لم تعد تستطيع إنكاره، الرؤية باتت واضحة لكنها موجعة، ولم تعد تملك شيئًا تفعله، فالأم والأب اللذان كانا يجمعان بينهما في الماضي رغم الاختلافات قد رحلا، وها هو كل شيء يظهر على حقيقته.

هرع الدهر بجريانه المتقلّب تتسارع أيامه وكأنها تهرب من شيء لا يُرى، وفي أحد الأيام قصد سعيدٌ ابنه زيدً في مدينة طنجة لكنه لم يجده هناك، فانتظره

حتى عاد، لم يكن ينتظر زيدًا فقط بل ظل يسترجع ذكرياته معه، وحديثه الذي لم يسمعه منذ أيام وشهور عديدة، كان ذلك الانتظار فرصة للجلوس مع أفراد العائلة والحديث معهم واسترجاع الذكريات الجميلة، كما أنها كانت فرصة لتجديد أواصر الحب والمودة والرحمة بينهم.

بعد وصول زيد التقى بوالده وجلسا لتناول وجبة الغداء في جو عائلي يغمره الاطمئنان والسكينة إضافة إلى السعادة والمحبة، لم يستطع سعيد مقاومة هذه الذكريات وأجواء العائلة ودفئها، فقرّر البقاء معهم في طنجة لمدة أسبوعين إلى حين انتهاء عطلته وعودته إلى العمل، وبعد تناول وجبة الغداء جلس

زيد يشاهد التلفاز، فجاء إليه والده وجلس بجانبه ثم اقترح عليه شراء بعض المنازل في مدينة الدار البيضاء بالإضافة إلى أراضٍ زراعية، لكن زيد اعترض على ذلك وقال:

-لماذا تريد شراءها يا أبي؟ أنت لست بحاجة إليها فكل شيء متوفر لديك حاليًا.

الأب سعيد: لا يا بني رغم ذلك يجب على الإنسان أن ينظر إلى المستقبل لأجل تحقيق أحلامه وصناعة مجد لا مثيل له، أنا سأشتري هذه العقارات ولدي المال لكن ينقصني جزء بسيط منه، ولهذا أريدك أن تمنحني شيئًا من مالك حتى أتمكن من الشراء، زد على ذلك أن هذه الخطوة إيجابية لكم أيضًا

لتستفيدوا منها مستقبلًا، وسأقوم بتأجير هذه المنازل ومن خلال عوائدها ستُسهم في ازدهاري وازدهار العائلة، لقد قرّرت وأنا أعرف مصلحتك ومصلحة الجميع، ليس لديك مفرّ سوى الموافقة!

زيد قائلاً: حسنًا إذن كما تريد يا أبي.

فرح الأب كثيرًا وتم الاتفاق بينه وبين زيد بشأن شراء المنازل، وحين جاء وقت العشاء تناولوه في جوّ عائلي يغمره الفرح والابتسامات الطيبة.

وفي الصباح الباكر استيقظ سعيد وابنه زيد وتوجها إلى صاحب المنازل في مدينة الدار البيضاء حيث اشتريا منزلين بالإضافة إلى أرض زراعية، وتم توقيع العقود كافة وسُجّل كل شيء باسم الأب

سعيد باعتباره المساهم الأكبر في دفع التكاليف.

في لحظة توقيع عقد المنزل، كان سعيد وزيد يبتسمان ابتسامات الفخر والاعتزاز لأن تلك المنازل ستُسهم في ازدهارهما وثرائهما، والابتعاد عن الفقر وظروفه القاسية، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه:

"هل تكون ابتسامات الفخر والاعتزاز دائمًا في موضعها وتستمر؟ أم أنها مع مرور الدهر قد تنقلب على صاحبها كأنها لعنة لا يمكن الهروب منها؟"

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثالث والعشرون

أحيانًا تبتسم لك الحياة وتتحقّق أحلامك وأمنياتك، لكن ربما تلك الابتسامة لا تكتمل وربما تكون مجرّد رسالة أن أجلك قد اقترب أكثر مما تظن ولا هروب منه.

في كل صباح وكعادته خرج سعيد وذهب إلى عمله كأيّ يوم، وكأيّ رجل يعمل، كان في طريقه إلى العمل بصحة جيدة لا يشكو شيئًا، لكن بعد بلوغ الساعة الحادية عشرة شعر بشيء من الإرهاق والتعب، لم يدرِ من أين أتى ذلك الشعور وظنّه نتيجة تعب الطريق، فواصل النهار بكل تقلباته.

بعد انتهاء العمل خرج سعيد عائدًا، وكان يشعر ببعض الفرح لأنه أنهى ذلك اليوم المتعب جدًا، لم يشعر بمثل هذا

التعب في حياته من قبل، أحيانًا كان ينتابه إحساس غريب كأن حياته تقترب من نهايتها، في طريق العودة كان يقود سيارته كعادته، أحيانًا يتوقف قليلًا على جانب الطريق ثم ينطلق مجددًا، لكن هذه المرة لم يكن في وعيه الكامل، فاصطدم بسيارة أخرى تسير بجانبه.

حضرت سيارة الإسعاف ونقلت كليهما سعيد والشخص الآخر إلى المستشفى، كما تم الاتصال بابنه زيد لإبلاغه بما حدث، كان زيد حينها في مدينة طنجة، فأسرع بالسفر إلى مدينة الدار البيضاء ليطمئن على والده.

عندما وصل وجده في حالة غير جيدة، وقد أخبره الأطباء بأنهم عاجزون عن

علاجه بسبب ضربة قوية تعرّض لها على مستوى الرأس والأرجل.

قال الطبيب لزيد: إذا أجرينا له عملية جراحية هنا قد لا تنجح وقد تؤدي إلى وفاته.

هذا ما دفع زيد إلى اتخاذ قرار سريع بنقل والده إلى فرنسا للعلاج على أمل أن يجد له فرصة للشفاء.

عند وصول زيد إلى المستشفى وجد بجانب والده امرأةً تبدو على ملامحها الحزن وآثار الدموع تُغرق وجنتيها، كانت ترتدي جلبابًا بسيطًا، ومن خلال مظهرها وتعاملها بدا وكأنها تعرف والده منذ زمن بعيد، لكن الغريب أنها لم تتعرّف على زيد ولم يظهر عليها أنها تعرفه أيضًا.

تقدّم نحوها وسألها باستغراب: من أنتِ؟ هل أنتِ من ساعد والدي حتى وصل إلى المستشفى؟

فأجابته وهي ترمقه بنظرة مشوبة بالدهشة والخذلان: ربما لم تتعرّف عليّ هل تسخر مني؟ أنا زوجة سعيد، زوجته الثانية.

قال زيد وهو في قمة الدهشة والانفعال: هل تدركين ما تقولين؟ من أين جئتِ؟ ومتى أصبحتِ زوجته؟ لماذا لم يخبرني إذًا؟ اخرجي من الغرفة! اخرجي فورًا! كل ما قلته كذب ولن أثق بك.

أخذ زيد والده وسافر به إلى إحدى المستشفيات في فرنسا، وفي طريقه إلى هناك استعاد سعيد وعيه رغم عدم قدرته على الحديث بسهولة.

سأله زيد بصوت مشوب بالحيرة والشك: من تلك المرأة التي كانت معك في المستشفى؟ تقول إنها زوجتك، هل ما قالته صحيح؟

سعيد وهو في حالة متأزمة جدًا، ردَّ بهمسة متعبة: نعم، هي زوجتي.

بعد سماع زيد هذا الكلام لم يستطع النطق وكأن لسانه ابتلع من فمه، ومع دخولهم المستشفى جاء الأجل المحتوم، وتوفي سعيد ورحل عن هذه الدنيا، اختلط كل شيء على زيد، لم يعرف ما الذي ينبغي فعله بعد وفاة والده خصوصًا بعد رحلة طويلة من التعب والقلق، وآخر ما قاله له والده أن تلك المرأة زوجته.

لكن وبفضل أصدقائه الذين كوّنهم خلال سفراته السابقة إلى فرنسا، تمكّن زيد من ترتيب كل ما يلزم لإعادة جثمان والده إلى المغرب ليدفنه في وطنه.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الرابع والعشرون

وصل زيد إلى المغرب وهو يحمل جثمان والده كما أنه يحمل فوق رأسه الحقائق التي رآها بعد وفاته، حقائق كان ينتظر أن يسمع أجوبتها منه لكن الأجل سبقه ومنعه من الكلام.

اجتمع أفراد العائلة وكل الأهل والأصدقاء وحملوا الجثمان على أكتافهم وتوجّهوا به إلى المقبرة ثم تم دفنه في أجواء حزينة لكن مهيبة، وبعد انتهاء مراسم الدفن عاد كلٌّ إلى منزله.

عاد زيد إلى المنزل وجلس مع أفراد العائلة كأي أسرة فقدت أباها ورفيق دربها، لكن ذهنه لم يكن حاضرًا بالكامل كان مشغولًا بالتفكير في تلك المرأة الغريبة التي ادّعت في المستشفى أنها

زوجة أبيه سعيد، وما هي إلا لحظات حتى سُمِع طرقٌ عنيف على الباب، فتح زيد بسرعة فإذا بها نفس المرأة التي رآها في المستشفى وبرفقتها امرأة أخرى، أدخل المرأة الثانية ولم يُرِد أن يسمح للأولى بالدخول لكنها بدأت بالصراخ والاحتجاج حتى اجتمع باقي أفراد العائلة وأمروا زيد أن يسمح لها بالدخول احترامًا للموقف، دخلت هي والمرأة الأخرى وبدأتا تسألان عن سعيد كيف حاله؟

لكن زيد ردّ بحزن: لقد توفّي.

انصدمت المرأتان وساد صمت ثقيل.

ثم بادر زيد بالسؤال مجددًا: من أنتما؟

فأجابته الأولى بألم: سعيد زوجي، أنا امرأته.

وقالت المرأة الثالثة أيضًا: وأنا كذلك زوجته، لماذا لم يخبرني أحد بما حدث؟

قال زيد مندهشًا بصوت مرتفع: أعيدي ما قلتِ؟ لا يمكن! هذا مستحيل!

عند سماع مريم هذا الكلام لم تتحمّل الصدمة ففقدت وعيها، أما خالد فاندفع بطردهما خارج المنزل وهو لا يستطيع تقبّل ما سمع، وظلّ يردّد:

-كذب، هذا كذب!

التفت زيد إلى والدته وسألها: أمي، هل هذا صحيح؟ هل كنتِ تعلمين؟

أجابت وهي منكسرة ومنصدمة: نعم لكنه تزوّج بامرأة واحدة فقط منذ زمن، تلك هي الحقيقة، أما المرأة الثانية فلديه منها ابن شاب لكن هذه المرأة الثالثة

التي تدّعي أنها زوجته، فلا علم لي بها إطلاقًا، إنها تكذب.

ثم أضافت بصوت غاضب: لا أريد رؤية أحد منهنّ، أخرِجهنّ حالًا من المنزل.

فقال زيد بحزم: سمعتم، غادروا الآن.

وبالفعل طردهن خارج المنزل بالقوة وأغلق الباب خلفه، لم يتحمّل زيد ما سمعه، كل ما يريده هو معرفة الحقيقة لكن لا أحد يستطيع قولها، فكلّ شيء ذهب مع أبيه، اتخذ الصمت سلاحًا له في هذه اللحظة كما أنه دخل في دوّامة من الذكريات والخذلان في آنٍ معًا، كان يتذكّر علاقته القوية بأبيه حيث لم يكن يخفي عنه شيئًا وهو كذلك كان يشاركه كل تفاصيل حياته لكن اليوم ها هو يُفاجأ

ويُصدم بهذه الحقيقة المؤلمة التي لم يتوقّع يومًا أن تحدث، خرج زيد من المنزل تاركًا النقاشات والصراعات حول الحقيقة وذهب إلى جميع منازل والده الموجودة في المدن التي كان يسافر إليها باستمرار وظلّ يبحث بداخلها عن أي دليل أو وثيقة تُثبت ما قالته تلك المرأتان.

أحيانًا يعيش الإنسان عمره كلّه في خيال لا وجود له كما لو كان يُحلّق في السماء وكأنه أسطورة لكن الحقيقة هي أن ما ينتظرنا خلف هذا الخيال وذلك التحليق في غيوم السماء، هو واقع، واقع لا يرحم، واقع يصعب على الكثيرين تقبّله فيفضّلون أن يُوهموا أنفسهم بأن تلك

الحقيقة ليست سوى وهم أو كابوس، بعد مرور ثلاثة أيام وزيد لا يزال يبحث عن الحقيقة وسط استمرار الصراعات بين الإخوة، أخيرًا وجد الوثائق كلّها في أحد منازل والده والتي تُثبت أن جميع النساء زوجاته رسميًّا وبالقانون وبكل ما تحمله الكلمة من معنى كما وجد وصية أخرى يثبت فيها والده ذلك بكل وضوح، عاد زيد إلى منزله عند أمه عائشة وإخوته وهو لا يعلم ماذا سيقول وماذا سيفعل، أثناء طريقه في الشارع ظل يشاهد الناس يذهبون مع والديهم وعائلاتهم وتذكّر أنه في الماضي كان هو كذلك، كان يتساءل:

-هل ما نراه حقيقي أم وهم؟

-هل تلك الابتسامات التي أراها على وجوههم تُشبه ابتساماتنا نحن في الماضي أم تختلف تمامًا عنا؟

تذكّر أيامه في الإعدادية والثانوية، أيام كانت العائلة متماسكة مبنية على الصبر والعزيمة والإرادة، حينما وصل طرق الباب بطريقة مختلفة، فتحت له أخته مريم ورأت في عينيه حزنًا شديدًا، من ملامح وجهه أدركت أن أخاها زيد محمّل بثقل الحقيقة القاسية، الأم تنظر إليه في عينيه وهي صامتة، وأخوه خالد ينظر إليه بنظرات تحمل عدة تساؤلات والغضب في الوقت نفسه.

سأل خالد زيد قائلًا: ماذا وجدت عن ما قالته تلك المرأتان؟ هل ذلك صحيح؟ لا تصمت، أجب، لا تصمت، أجب!

قال زيد: للأسف، نعم، كل ما قالته تلك المرأتان صحيح تمامًا وهناك وثائق تُثبت ذلك، بالإضافة إلى وجود وصية أيضًا، كما أن المرأة زوجته الثانية لديها ابن شاب.

غضب خالد وبدأ يصرخ بصوت مرتفع لأنه لم يتقبّل ذلك، دخل في نقاش حاد مع أخيه زيد واتّهمه بأن كل ما يقوله كذب، كذب، أما الأم فعندما سألها لم تستطع الإجابة بأي شيء سوى الصمت والنظر إلى ما وصلت إليه أسرتها بعد عناء طويل في بنائها.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الخامس والعشرون

في ظل هذه الحقائق التي يصعب على العقل تقبّلها فورًا، ورغم كونها واقعية إلا أنها كانت مؤلمة بشدّة، دخل خالد في صراع مع أخيه زيد ودار بينهما نقاش حاد إذ حاول زيد إقناعه بالحقيقة، فالهروب منها لم يعد ممكنًا؛ العقود والوثائق تثبت ذلك، وخلال النقاش اشتد غضب خالد وأمسك بقميص زيد حتى تمزّق من شدّة قبضته ثم ضربه على وجهه وهو يصرخ:

-لا يمكن! كل ما قلته كذب، أبي لن يفعل ذلك! أنا أعرفه جيدًا، ألا تفكر في شيء؟ هل ابتلع عقلك من رأسك؟! كل تلك المرأتين اللتين تدّعيان أنهما زوجتا أبي كاذبتان وحتى الوثائق مزورة!

فـــردّ زيـــد بهـــدوء: حســـنًا، ســـنتأكّد إن كانـــت مزوّرة أم لا.

ونظـــرًا لصـــلاته ومعارفـــه فـــي مجـــالات متعـــدّدة، عـــرض زيـــد الوثـــائق علـــى مجموعـــة مـــن المختصّـــين، وبعـــد الفحـــص تبـــيّن أنهـــا صـــحيحة تمامًـــا، استســـلم زيـــد أمـــام الحقيقـــة فلـــم يبـــقَ مـــا يدحضـــها؛ كـــلّ الـــدلائل تشـــير إلـــى أن المـــرأتين زوجتـــا والـــده بالفعـــل، لكـــن خالـــد لـــم يتقبّـــل الأمـــر وقال بانفعال:

-إن جـــاء أحـــد مـــنهم إلينـــا مـــرة أخـــرى سنضع نهاية لحياته!

كـــان زيـــد يـــدرك أن الزوجـــات قـــد يظهـــرن لاحقًـــا للمطالبـــة بحقـــوقهن فـــي الإرث خاصـــة الزوجـــة الثانيـــة التـــي لـــديها ابـــن

شـــاب يُعـــرف بســـوء ســـلوك أصـــدقائه ومشـــاكله المتكـــرّرة، بعـــد تفكيـــر طويـــل قـــرّر زيـــد أن يجعـــل مـــن العقـــل صـــديقه الوحيـــد، والصـــمت ســـلاحه الأقـــوى بـــدلًا مـــن الانفعـــال والقـــوة، فقـــد أدرك أن هـــذا هـــو واقعهـــم الجديـــد ولا مهـــرب منـــه، كمـــا فكّـــر فـــي حـــلّ عـــادل إنْ ظهـــرت إحـــداهنّ للمطالبـــة بحقوقهـــا فســـيمنحها نصـــيبها مـــن ميـــراث والـــده وفقًـــا لمـــا أوصـــى بـــه الأب فـــي وصـــيّته، وهكـــذا يُطـــوى الملـــف، أمـــا والدتـــه عائشـــة فقـــد حذّرتـــه هـــو وأخيـــه خالـــد مـــن الـــدخول فـــي أي صـــراع علـــى إرث أو ممتلكات، وقالت بحزم:

-مـــن أراد حقّـــه فليأخـــذه، لا نريـــد مشـــاكل أكثر من هذا.

ظلّ زيد يحاول تهدئة كل شيء حتى تبقى العائلة متماسكة كما تركها والده وجده، لكن الزمن أحيانًا يفرض على العائلات التفكّك خاصة إن كان عمودها قد رحل أو ربما لأن ذلك العمود لم يكن مبنيًّا على ما هو أصحّ، في ذلك اليوم المظلم والموحش الذي ليس كسائر الأيام جلست كل فراد العائلة تتناول وجبة الغداء وفي ذلك الجو يحاول زيد تحسين الوضع وارجاع الطمأنينة والسكينة في قلوب احبته وإخوته لأجل التخفيف عنهم من ثقل هده الأيام الحزن وألم التي مرت بها العائلة كلها ومرت بخير، فجأة جاء احد يطرق باب المنزل فتحت مريم فدخلت زوجة أبيها الثانية

ومعها شاب غريب تدعي انه ابنها، جاءت هي وابنها تطالب بحقوقها في إرث زوجها لضمان مستقل ابنها وهي كذلك.

أجابها خالد: انت لست منا وليس لك حق هنا، اخرجي من منزلنا.

ردت عليه: ماذا تقول أتريدون جعلي متشردة في الشارع؟ انا زوجة ابوك والكل يعرف هذا والقانون والوثائق تثبت ذلك ولدي نسخة اصلية منهم.

قال زيد: حسنا اتفهم كل ما قلته والأن اخرجي من هنا لا نريد مشاكل اكثر من هذه فيما بعد سنتحدث في ذلك.

خالد: كيف ذلك؟ لن نتحدث في اي شيء اخرجي من هنا.

الزوجة الثانية: لن اخرج واعلم أنني لن استسلم وسأخذ حقوقي بالرضا او بالقوة والقانون.

فدخلوا في صراعات ومشاجرات سيئة لولا احدى الجيران التي تدخل وقام بإخراج المرأة الثانية هي وابنها، بفعل المشاجرات ارتفع ضغط الدم لأمهم عائشة وفقدت وعيها فأخذها زيد بسرعة إلى المستشفى، في المقابل زوجة سعيد الثالثة لم تطالب بأي شيء رغم انها كانت تعرف أنها لها حقوق في ذلك بفعل ان سعيد قبل وفاته جعل لها احدى منازله في اسمها ولم تخبر احد بذلك وصمتت.

مـــرّت ثلاثـــة أيـــام حتـــى تلقّـــى زيـــد مكالمـــة هاتفيـــة مـــن ذلـــك الشـــاب ابـــن زوجـــة والـــده ســـعيد الثانيـــة، أخبـــره فيهـــا أنـــه يريـــد تقســـيم الميـــراث وأخـــذ حقّـــه وطلـــب منـــه إحضـــار جميع الوثائق اللازمة.

قال له زيد: سنتحدث لاحقًا.

لكـــن الشـــاب أجابـــه بحـــدة: زيـــد لقـــد قلـــت مـــا عنـــدي، إن لـــم تـــردّ علـــيّ خـــلال ثلاثـــة أيـــام ســـأرفع دعـــوى قضـــائية ضـــدكم وســـآخذ حقوقي كاملة بالقانون.

جلـــس زيـــد يفكّـــر فـــي الأمـــر، أخـــوه خالـــد يـــرفض أن يُعطـــى أحـــد أيّ شـــيء مـــن الإرث ووالدتـــه أصـــبحت مريضـــة مـــن كثـــرة هـــذه الصـــراعات، وفـــي النهايـــة قـــرّر زيـــد أن يمـــنحهم حقّهـــم فـــي الإرث بعـــد موافقـــة

أمه لأنه يعلم أن كل الميراث مسجّل باسم والده سعيد، وأن ذلك من حق الجميع شرعًا وقانونًا.

في أحد الأيام اجتمع أفراد العائلتين من أجل توقيع عقد تقسيم الإرث لكن فجأة دخل خالد إلى المنزل وكان في حالة غير طبيعية تحت تأثير الكحول والمخدرات فقد كان مدمنًا قديمًا، نظر إليهم وصرخ:

-ماذا تفعلون؟

قال زيد بهدوء: نريد توقيع عقد التقسيم ومنح ابن زوجة أبي الثانية حقّه.

فغضب خالد بشدّة ورفع يده ليضرب ذلك الشاب، وضربه مرتين بكرسي حديدي وأصاب رأسه إصابات خطيرة، في لحظة تحوّلت طاولة الوثائق إلى مشهد دموي،

خالد لم يكن في وعيه تمامًا، نُقل الشاب إلى المستشفى وهو يصارع الموت لكن الأجل لم يُمهله وتوفي متأثرًا بإصابته، أما أمه فلم تكن بجانبه في تلك اللحظة، وحين بلغها الخبر خرجت تجري لتلحق بابنها ووقفت في منتصف الطريق تحاول إيقاف سيارة أجرة لكن تحت تأثير الصدمة والخوف، عبرت الطريق دون انتباه فاصطدمت بها سيارة وانتهت بوفاتها، بعد التحقيق سلّم خالد نفسه وأُلقي القبض عليه، وانتهت حياته في السجن، ومرّت عليه الأيام هناك بالألم والندم وقسوة الضمير، لأنه لم يكن بكامل وعيه حين فعل ما فعل ولم يستطع مسامحة نفسه إلى الأبد.

إن الحياة متعبة جدًا، ورغم هذا التعب يبقى الصراع عليها مستمرًا، فالإنسان أحيانًا يكون مطمئنًا ماليًا واقتصاديًا، واجتماعيًا، لكن مع مرور الزمن ووضوح الحقائق، وانكشاف الأسرار المخفية يدفع ثمن كل ما فعله في الماضي، وليس بالضرورة أن يدفعه هو بنفسه بل قد يدفعه أبناؤه أو حتى أحفاده.

ميراث
السعادة والألم

التعريف بصاحب المؤلف

"نورالدين حيدا" هو كاتب روائي وقصصي مغربي مبدع، يتمتع بشغف عميق في مجالي الأدب والفلسفة. وُلد في مدينة زاكورة، بقرية "أغلاودرار".

من إسهاماته المشاركة في تأليف كتاب "حروف على هامش القلب" بالتعاون مع مجموعة من المؤلفين، كما ساهم أيضًا في تأليف كتاب رسائل إلى نفسي عبر الزمن"، مما يعكس معرفته الواسعة ورؤيته الأدبية المتفرّدة.

يتميّز أسلوب الكاتب نورالدين حيدا بالعمق والابتكار، إذ يسعى دائمًا إلى استكشاف أفكار جديدة وتقديم رؤية حقيقية عن الحياة.

إلى جانب ذلك، مشرف على *مجلة الفكر الأدبي والفلسفي التي تظم مقالات أدبية وفلسفية* ، حيث يساهم في تقديم محتوى ثقافي وفكري يُلهم القرّاء ويحفّز التفكير النقدي.

كما انه شارك في عدة مسابقات أدبية ودينية وثقافية.

نسمات الأدب

مديرة الدار: رزان محمد كليب

تصميم: همس الجنة